

الوحي

جامعية - فكرية - ثقافية
ربيع الثاني ١٤٣٥ هـ - شباط ٢٠١٤ م

• عصر الملك الجبري انتهى أيها العلمانيون الأذكياء!

• قواعد اتّباع العلماء في أخذ الأحكام

• جوائز «الاستقلال»: بين حقد جنرالات فرنسا وخبث عملاء الإنجليز (٢)

• مع القرآن الكريم: الوعي السياسي على القوى المحلية والدولية المؤثرة

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

دعوة الله للمسلمين
لإقامة الخلافة الراشدة
التي آن أوانها وأطل زمانها:
هنيئاً لمن يستجيب لها

صفحة

٩ عصر الملك الجبري انتهى أيها العلمانيون الأذكيا!

١٣ قواعد التباع العلماء في أخذ الأحكام

٣١ جزائر «الاستقلال»: بين حقد جنرالات فرنسا وخبث عملاء الإنجليز (٢)

٣٩ أخبار المسلمين في العالم

٣٤ مع القرآن الكريم: الوعي السياسي على القوى المحلية والدولية المؤثرة

٤٢ رياض الجنة: أخلاق الرسول ﷺ (٤)

٤٣ فبهذا هم اقتتد: عبد الله بن جحش (أول من دعي بأمر المؤمنين)

٤٧ حدائق ذات بهجة: الكعبة ومفتاحها ومحتوياتها وأسرارها

٥١ كلمة أخيرة: هل حول «تنظيم الدولة» مسار الحرب في سوريا إلى قضية أمنية دولية؟

٥٢ اضطهاد الإسلام وشيظنته منهج مشترك لشبكات دولية وامتداد لتاريخ استعماري

إلى السادة الكتاب

• يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.

• لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.

• لـ "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.

• نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخرجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي صفحة ٣

دعوة الله للمسلمين

لإقامة الخلافة

الراشدة

التي آن أوانها وأطل

زمانها... هنيئاً لمن

يستجيب لها.

جامعية - فكرية - ثقافية

الوعي

al-waie.org

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

ثمن النسخة	لبنان: ١٠٠٠ ل	اليمن: ٣٠ ريال	تركيا: ١ \$ أميري	باكستان: ١ \$ أميري
أستراليا: ٢,٥ \$	أمريكا: ٢,٥ \$	كندا: ٢,٥ \$	ألمانيا: ١ يورو	السويد: ١٥ كرون
بلجيكا: ١ يورو	بريطانيا: ١ £	سويسرا: ٢ فرنك	النمسا: ١ يورو	الدانمرك: ١٥ كرون

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الله للمسلمين لإقامة الخلافة الراشدة التي آن أوانها وأطل زمانها... هنيئاً لمن يستجيب لها.

يعد مؤتمر جنيف مؤتمراً أميركياً بامتياز، وهو فرصة أميركا لإبقاء الحكم في سوريا بيدها. فهي التي أوجدت فكرة هذا المؤتمر ووضعت أهدافه ورتبت أطرافه، وجعلت روسيا طرفاً أساسياً فيه، ووسعت الائتلاف بشكل يخدم أهدافها ويأتي بالجربا رئيساً له... واختارت الإبراهيمي (الذي ارتبط اسمه بمعظم الترتيبات الأميركية للعالم العربي والإسلامي في لبنان وأفغانستان والعراق) مبعوثاً دولياً ليصل به إلى أهدافه الأميركية المرسومة له، واستخدمت المساعد السابق لوزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون جيفري فيلتمان بوصفه المساعد السياسي للأمين العام للأمم المتحدة ليكون مساعداً للإبراهيمي في مهمته الأميركية، وهي تعمل على إدخال إيران في منظومة الدول التي تحضر المؤتمر لتساهم بالإشراف على تنفيذ الحل على الأرض... لهذا ولغيره يمكن القول إن أميركا ستحاور نفسها في هذا المؤتمر، وستعمل على إعادة إنتاج نظام سياسي جديد شبيه بنظام الأسد في العمالة لها، والسير بحسب مصالحها وبمعكس مصالح الأمة، ومعاداة الإسلام... ويذكر أن أميركا اقتضت مصلحتها في خطتها هذه أن تتخذ موقف النفاق بالنسبة للمعارضة فادعت أنها ضد الأسد ونظامه وصرحت بتصريحات نارية ضده، ولكنها ادعت أنها مع المعارضة المعتدلة وضد المتطرفين والتكفيريين، وتحت هذا العنوان منعت تسليح المعارضة بحجة الخوف من أن يقع السلاح بيد الإسلاميين (الإرهابيين التكفيريين)، وقامت بكثير من الأعمال التي تصب في مصلحة النظام السوري وتغطي إجرامه. فهي ساهمت في تعيين المبعوثين العرب والدوليين ليخرجوا بتقارير تقلب الحقائق لمصلحة النظام وتبرئه من الإجرام، وساهمت بإرسال فريق المفتشين الدوليين للتفتيش عن مدى استعمال السلاح الكيماوي فأدان هذا الفريق النظام والمقاتلين باستعماله على السواء مساوياً بذلك بين الضحية والجزار ومانعاً من أية إدانة قد تلحق بالنظام، وادعت أنها لا تستطيع فعل شيء تجاه استخدام الروس للفيديو ووقوفهم ضد أي قرار أممي قد يتخذ ضد النظام السوري، مع أنها أعلنت أكثر من مرة على لسان وزير خارجيتها كيري أنها على توافق مع الروس فيما يتعلق بالملف السوري. وخططت لأن تمد إيران النظام بكل ما يحتاجه من مال ورجال وسلاح حتى لا يسقط، وهناك الكثير الكثير من الوقائع التي

تكشف عمالة النظام السوري لأميركا، وأن أميركا هي التي تمنع سقوطه وتسخر كل إمكانياتها من أجل ذلك، حتى إن أوباما نفسه صرح أن ما يحدث في سوريا يتعلق بالأمن القومي الأميركي. وأخيراً وليس آخراً، الدور الوسخ الذي يقوم به الإبراهيمي رجل المهمات الأميركية من لبنان إلى العراق إلى أفغانستان والآن في سوريا... وباختصار، إن أهم ما في هذا المؤتمر بالنسبة لأميركا هو إقرار بند (هيئة الحكم الانتقالية) فهي بعد تأمين إقراره ووضع هذا الإقرار في جيبها، ستنقل إلى تهيئة الأرض لتنفيذ خطتها للحل ومن ثم ستجعل من المؤتمر اليد التي ستوقع عليها. وقد يطول الزمن وقد يقصر، وذلك بحسب المتاح لها.

أما دول أوروبا فقد ظهرت أنها أضعف من أن ترعى مفاوضات أو تفرض حلولاً أو تلزم أحداً من المتنازعين بأي موقف دولي يحل الصراع في سوريا، وموقفها مما يحدث في سوريا تأخر فور تقدم الموقف الأميركي واتفاق أميركا وروسيا على عقد مؤتمر جنيف، وإنشاء الائتلاف الوطني، حتى إنها سرعان ما سارت مع «موجة محاربة الإرهاب» التي قدمتها أميركا وجعلتها تطفئ على «موجة تغيير بشار» ونظامه، وسارت فيما خططته أميركا من حل مشكلة الكيماوي السوري والنووي الإيراني من غير أن تستطيع التأثير عليه أو فضح أهدافه الأميركية. وبالرغم من أن أوروبا تتدخل فيما يجري في سوريا عبر دول إقليمية وخاصة السعودية وقطر وتسخر المال والإعلام للتدخل هناك، إلا أن هذا التدخل ممسوك، وممنوع عليه أن يتجاوز خطوطاً حمراء أمريكية في الدعم، فأمركا مثلاً استطاعت أن تقص أجنحة قطر وفرضت على أميرها أن يترك الحكم لمصلحة ابنه، وهو الذي استولى على الحكم من أبيه وجعله يعيش منفياً. ويبدو أنها تفكر بالنسبة للسعودية بسيناريو خاص بها وقد يكون تقسيمها. ويمكن القول إن أوروبا تملك أن تعرقل المخطط الأميركي في سوريا ولكنها لا تملك أن تمنعه، وتطمع أن تكون لها حصة في الحل ولكن لا تستطيع أن تفرضه.

من الواضح جداً أن أميركا تتعامل مع الثورات التي نشأت في البلاد التابعة لها تعاملاً طغى عليه الإجرام المفرط، سواء في مصر أم في سوريا، وهي لم تسأل عن مجتمع دولي ولا عن قانون دولي. حتى وكأنه أصبح من عاداتها أن تتصرف مع المسلمين، من أفغانستان إلى العراق والآن في سوريا بوحشية وإجرام مفرط وبعيداً عن أي قيم إنسانية أو خلقية.

ففي مصر أدارت عملية سياسية انقلبت عليها مخالفة قوانينها المؤمنة بها، فضلاً عن مخالفة القانون الدولي الذي تدعي حمايته وخوض الحروب ضد من يخالفه، وتغاضت عن ارتكاب النظام الانقلابي التابع لها لأبشع المجازر بحق المدنيين هناك ولم تسمح بمساءلته

دولياً، وهي أعادت فلول النظام العلمانيين ورجال مبارك إلى الحكم، وهي في صدد تبرئة مبارك وأولاده ورجاله من كل الجرائم المتهمين بها... وفي الوقت نفسه قبلت ظهر المجن لمرسي فسلطت عليه وعلى جماعته كل أبواق العملاء ولاحقته وقتلت منهم واعتقلتهم وتريد أن تحاكمهم ليدخلوا السجن ويخرج أنصار مبارك، هذا مع العلم أن مرسي وجماعته يتبنون (الإسلام المعتدل) وبحسب المواصفات الأميركية، إذ في فترة حكمه القصيرة والممسوكة من أميركا أعلن مرسي أنه يقر الصلح وكل الاتفاقات مع يهود، وتعاقد على قرض دولي بالربا مع البنك الدولي، وسار في سن دستور علماني يناقض الشريعة الإسلامية، وتم هدم أنفاق تهريب البضائع بين مصر وغزة من غير أن يعلن فتح الحدود أو إزالتها، وشن حرباً على إسلامي سيناء...

أما في سوريا، فبالرغم من كل ما يرتكبه السفاح بشار ونظامه من إجرام موصوف، فهي ما زالت تعامله على أنه نظام شرعي ديمقراطي منتخب، وحتى بعد استعمال السفاح بشار للكيماوي ضد المدنيين العزل في الغوطة تخطت الإحراج الدولي لها لامتناعها عن محاسبته، ومنحته براءة العمل على دعم السلم العالمي، بل ودعمت موقفه السياسي وأرادت أن تسوّقه كطرف من أطراف الحل في سوريا. إنه يمكن القول بكل اطمئنان أن ما يحدث في كل من مصر وسوريا من انتهاك لكل قوانين البشر الإنسانية هو برسم السياسة الأميركية وسياستهم الإجرامية في العالم بشكل عام وعلى المسلمين بشكل خاص. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي يلجئ أميركا إلى الوقوف مثل هذا الموقف الإجرامي المضفوح والمدان دولياً والساقط حضارياً بحق المسلمين؟

أما الجواب فهو إنما هو بسبب ما يظهر عليهم من إرادة العودة إلى العيش في رحاب الإسلام والاستغلال بحكمه وعدله، وحمل دعوته لنشر عقيدته بين الناس وتطبيق حكمه عليهم وإعادة عزه المفقود بفتح باب الجهاد الموصود، والقضاء على الظلم العالمي والتوحش الرأسمالي... إن إدراك الغرب وعلى رأسه أميركا لهذا الواقع جعله يعيش في حال من القلق المصيري الحقيقي خاصة وأن حضارته قد بان إفلاسها على كل صعيد، وبوادر السقوط أصبح يلمسها بنفسه ويتوقعها ويخاف من مفاجأتها كما حدث معه في الأزمة المالية. كذلك فإن الغرب يدرك أن الإسلام يمثل بديلاً حضارياً قوياً، ويمكنه إذا أخذ فرصته أن يقضي على حضارته بكل سهولة وأن يمتلك القوة ويتقدم سريعاً لتصبح دولته في وقت قياسي هي الدولة الأولى في العالم ومن غير منازع. هذا ما يدركه الغرب وهذا ما يدفعه إلى مواجهته بهذه الشراسة لأنه يريد بذلك أن يمنع إقامة دولة الخلافة الراشدة من جديد؛ ولكنه لن يستطيع بحول الله أن يغير سنن الله في التغيير.

أما إدراك المسلمين لهذا الواقع فهو مهم جداً، لأنه يجعلهم يتحولون بسرعة لمواجهة الغرب لمصلحة دينهم، وعدم الاصطفاف معه، وعدم الوقوع في تلبيساته، والتنبه لرجالاته وأحزابه من العلمانيين في البلد، وعدم الانجرار وراء الحكام لأنهم كلهم عملاء له... نعم إن إدراك هذا الواقع يجعل المسلمين يعرفون أن ما يرتكبه الغرب من قتل فإنما يريد أن يقتل به مشروعهم لإقامة الخلافة، وأنه يريد أن يذهب إلى أبعد ما يستطيعه من إجرام، وبهذا الاعتبار يمكن القول إن من يقتله حكام المسلمين العملاء للغرب أو يعتقلونهم أو يعذبونهم أو يهدمون بيوتهم أو مدنهم... في هذه الآونة إنما هو من أجل أن لا تقوم قائمة الإسلام. هذه هي حقيقة الحرب المفتوحة اليوم على المسلمين أينما كانوا. وإنه متى أدرك المسلمون حقيقة الصراع هذا نأوا بأنفسهم عن تأييد هؤلاء الحكام أو الانخداع بهم، سواء في مصر، حيث عملت أميركا على إفشال الإخوان، ومن ثم عملت على إلصاق الفشل بالإسلام السياسي، مع أن الإخوان لم يطبقوا الإسلام على طريقة الرسول ﷺ بل طبقوه على الطريقة الغربية، أي طبقوا ما بات يعرف بـ (الإسلام المعتدل). وحقيقة الأمر يمكن القول إن الذي فشل هم الإخوان وفهمهم البعيد عن فهم الإسلام بشكل صحيح. وهذا يصب في مصلحة الفهم الصحيح للإسلام والذي يتجلى بالدعوة لإقامة الخلافة الراشدة... أم في سوريا حيث يحاول الغرب أن يلعب لعبة أخرى هي لعبة التطرف والإرهاب، فقد أخذ الصراع شكلاً دموياً مأساوياً أكثر، وكان آل أسد آل وحش على المسلمين وأعداء حقيقيين للإسلام، منذ أول مجيء القبور الهالك حافظ أسد، والذي أورث ابنه وعائلته وطائفته الحقد والتعصب والإذلال ضد المسلمين... وأميركا تحاول في لعبتها هذه أن تثبت الحكم في سوريا بيدها وتمنع انتقاله إلى غيرها، وهذا الغير ليس أوروبا لأنه بوجود أميركا على الساحة تعتبر أوراقها ضعيفة جداً. وليس روسيا لأن الحسابات الروسية في سوريا ليست أكثر من الحصول على بعض العقود التجارية والوجود العسكري في طرطوس وقبض ثمن ما تخدم به أميركا في مكان آخر... وإنما هو ظهور الإسلام السياسي المتمثل بالدعوة والعمل لإقامة دولة الخلافة، وهذا الأمر أقض مضاجع جميع أعداء الله من أميركا إلى أوروبا إلى روسيا إلى الصين إلى (إسرائيل) إلى حكام دول المسلمين، فاجتمعوا على صعيد واحد وراحوا يرمون المسلمين العاملين المخلصين عن قوس واحدة، وقد بلغ حقدهم على الإسلام أن يأتي الأمر للسفاح بشار ولنظامه الفاشي باستعمال أقصى الإجرام، ثم أقسى من ذلك أن يتم غض النظر عما يرتكبه هذا السفاح والتغطية عليه لأنه يلتقي معهم في طرح العلمانية الكافرة التي تبعد الإسلام عن الحكم. هذا ما يجب أن يدركه المسلمون جميعاً، فالمسألة ليست دعوى «المقاومة والممانعة» التي أصبحت ممجوجة مفضوحة، فهذا هي إيران تحول وجهتها في التعامل مع يهود بشكل علني منذ أول مجيء روحاني حيث

أرسل لهم عبر صفحته الإلكترونية تهنئة بمناسبة أحد أعيادهم، وأعلن وزير خارجيتهم محمد جواد ظريف في تراجع معلن خطير وموقف مخز يتقرب فيه من أمريكا ورببيتها (إسرائيل) قائلاً إن المحرقة النازية لليهود كانت «مأساة وحشية مشؤومة ينبغي ألا تتكرر أبداً». ثم إذا كان السفاح بشار يمتلك كل ذلك السلاح الكيماوي الذي يستطيع أن يحسم به معركته مع يهود، فلماذا لم يستعمله ضدهم ويثبت أنه فعلاً مقاوم وممانع، خاصة وأن الشعب السوري كان سيكون معه وهو وشعوب المسلمين؟ إنها فعلاً أكذوبة مفضوحة لم يصدقها المسلمون في يوم من الأيام، ولعل أوضح دليل على هذا هو سرعة أخذه القرار بتسليم الكيماوي للغرب لإتلافه حتى لا يقع في يد المسلمين من بعده، ولتطمئن (إسرائيل) أكثر، وليظهر أنه معتدل ومع السلم الدولي وفي صف الغرب ضد الإرهاب. كذلك فإن المسألة ليست مسألة مذهبية، وإنما هي سياسية جرى استغلال الناحية المذهبية أبشع استغلال، سواء من ناحية إيران التي باتت تلعب أقذر الأدوار في المنطقة وتعمل مع الغرب في ضرب المشروع الإسلامي وتستعمل نفس أبجدياته من القول بوجود محاربة الإرهاب والقضاء على التكفيريين. أم من دول الخليج وعلى رأسهم السعودية الذين يختبئون وراء هذه الدعوة ليحموا عروشهم الواهية. إن هذه الدعوة تستفيد منها أميركا والغرب لشردمة بلاد المسلمين أكثر وأكثر، ولإيجاد العداوة والبغضاء بينهم فلا تعقد للمسلمين بعدها وحدة ولا تقوم لهم دولة واحدة جامعة هي دولة الخلافة. من أجل ذلك تمت تسوية الملف النووي الإيراني بشكل سريع لتبييض صفحة إيران ولإدخالها في الحل الأميركي التي تنوي فرضه في سوريا حيث ستكون إحدى أدوات هذا الفرض للحل الأميركي. وإيران اليوم وللأسف تلعب دور حصان تركبه أميركا في كل مكان يمكنها أن تصل فيه، من أفغانستان إلى العراق إلى لبنان إلى سوريا إلى اليمن إلى دول الخليج متفرقين ومنفردين...

أما الحل الشرعي الذي يرضي الله سبحانه وتعالى، والمتمثل بفرض إقامة دولة الخلافة الراشدة، فهو يولد من رحم المعاناة والمقاساة، ويدفع المسلمون ضريبته غالباً، وتساعد في ولادته أجواء التآمر الدولي عليه وعلى الإسلاميين المخلصين الذي يعملون ويتحملون من أجل هذا الفرض العظيم، وسيكون لهذه المعاناة أثرها في ولادته سليماً معافى أكثر. وهذا الحل الشرعي تكتمل عناصر تكوينه رغم أنوف دول الكفر وعلى رأسها أميركا ومكرها. ومن هذه العناصر المتوفرة، بفضل الله وحده، وجود تكتل سياسي يمتلك القدرة على الحكم بالإسلام على طريقة الرسول ﷺ وهو قد هيا نفسه لهذه المهمة العظيمة منذ حوالى الستين سنة، وهو يعمل في جميع بلاد المسلمين، ومنها سوريا ومصر، وله شبابه الأكفيا من حملة دعوة ورجال دولة وفقه واجتهاد ومفكرين ومحللين سياسيين

وكل ما يلزم لإقامة هذه الدولة. ومن العناصر المتوفرة أيضاً، بحمد الله وحده، وجود رأي عام على إسلام الحكم في مصر عبر عنه بقيام مظاهرة مليونية تطالب بتحكيم الشريعة الإسلامية. وفي سوريا عبر عنه وليد المعلم وزير خارجية الإجماع السوري بقوله: «ونعلم أن من يتربصون بسوريا ومن يطالبون بإقامة دولة الخلافة الإسلامية لن يقفوا عند حدود سوريا، فما نقوم به هو دفاع حتى عن الأردن ولبنان وتركيا». وكذلك وزير خارجية روسيا الحاقدة على الإسلام لافروف بقوله: «هناك ظروف تفرض على كل الوطنيين السوريين أن يدركوا ما هو الأهم بالنسبة لهم: القتال إلى جانب من يريد تحويل سوريا لتصبح دولة الخلافة أم الاتحاد لإعادة وطنهم إلى صورته التي عرف بها لعدة قرون - وهي دولة علمانية متعددة الطوائف والأعراق يعيش فيها الجميع بشكل مريح» ويمكن القول إنه قد تحقق وخاصة في سوريا ما قاله مصعب بن عمير رضي الله عنه للرسول ﷺ: «لم يبق بيت في سوريا إلا وفيه ذكر الإسلام»، نعم لم يبق في سوريا بيت إلا وفيه ذكر الخلافة. ومن العناصر المتوفرة أيضاً، بعون الله وحده، وجود أهل قوة يؤمنون بوجوب تحكيم شرع الله في حياة المسلمين، سواء من المجموعات المقاتلة أم من الضباط المنشقين أم من غيرهم... هذه هي عوامل تحقيق النصر قد توفرت، ولا تحتاج إلا إلى اجتماعها كي يتحقق النصر على طريقة الرسول ﷺ، وتحديد اجتماع أهل النصرة مع أهل القدرة ممن أعدوا أنفسهم لهذه المهمة العظيمة تماماً كما حدث مع الرسول ﷺ وهو يعمل لإقامة دولة الإسلام الأولى في المدينة، حيث طلب النصرة من أهل القوة في القبائل القوية، وحيث كان للأنصار شرف السبق إليها. وهي الآن تنتظر سابقين إليها لتعود سيرتها الأولى فتقوم دولة الإسلام الثانية فتكون دولة خلافة راشدة على منهاج النبوة التي وعد بها الله سبحانه من يقوم بأمرها بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٥٥﴾ وبشر بها رسوله الكريم بقوله: «ثم تكون خلافة راشدة» أي على منهاج النبوة. فالرسول كان يمتلك الوحي ويحتاج إلى القوة ليقوم الدولة بها وليحميها، وتاماً اليوم فإن أصحاب الدعوة لإقامة الخلافة يحتاجون لمثل ما احتاج إليه الرسول ﷺ فهل من مستجيب؟ قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُهُ تُخْشَوْنَ ٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٥ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَأَوتَوْكُمْ وَأَبْدَكُم بِصُرُوفِهِمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٦﴾ □

عصر الملك الجبري انتهى أيها (العلمانيون) الأذكياء!

بقلم: المهندس هشام البابا

العالمين بأنها خير أمة أخرجت للناس!؟ ما أغرب هؤلاء المنضبعين بالغرب والمتطبعين بحضارته وبأفكاره!

وهناك علماء مسلمون كانوا فريسة الغرب الحاقد، تراهم يقرؤون القرآن، حتى إذا أتوا على قول الله تعالى ﴿وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قالوا إنها للرسول ولا تصلح لزماننا هذا، وإذا تليت عليهم آيات الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قالوا إنها لبني إسرائيل! فصاروا بمقولاتهم وتصرفاتهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، ومنهم من لا ينطقون إلا بما يأمرهم به فرعونهم، وإذا نطق أي من المسلمين بكلمة حق قام السدنة ضده حتى «يلحسها»، فوأسفاه على علم لا ينفع، وعلى رؤوس شابت في غضب الله، هؤلاء لم يصدعوا إلا بالباطل ولم يُرضوا إلا أعداء الله والشيطان، هؤلاء هم علماء السوء الذين حدثنا عنهم الرسول ﷺ أنهم أخوف ما يخاف منهم على أمته.

حتى دعاة من يسمون بـ (الحركات

سمّاه الغرب بـ (الربيع العربي) خوفاً من الإسلام، ركضوا يتابعونه كي يشوهوه بأكاذيبهم وبتغطيات إعلامية كلها الحقد والكراهية لكل من ثار وأراد النهوض من عبودية فُرضت عليه وعلى أجداده. لم يدركوا أنها حركة أمة، أمة أذلّوها طيلة عقود، باعوها في سوق النخاسة ظناً منهم أنه تم التخلص منها، جزّؤوها ومسخوها وعملوا على زرع الكراهية بين شعوبها والتفكير المصلحي في أبنائها، وغسلوا أدمغة شريحة كبيرة من أبنائها فحوّلهم إلى علمانيين راحوا يرددون كالبيغاء ما يريد أعداؤها. قال لهم الغرب: الإسلام دين، والأديان لادخل لها بالسياسة. فرددوا وراءه دون تفكير: الإسلام دين، والأديان لادخل لها بالسياسة. قال لهم: الإسلام لا يصلح نظاماً للحكم. فرددوا قوله: الإسلام لا يصلح نظاماً للحكم! حارب فكرة الخلافة، فحاربوها، هاجم حاملي هذه الفكرة، فهاجموهم. فكيف يكون هؤلاء جزءاً من الأمة الإسلامية التي وصفها رب

مايتشدقون به يومياً على الفضائيات
 المأجورة «ديمقراطية مدنية تعددية...»
 وغيرها من ترهات يتندر عليها أهل الثورة.
 حتى ميشيل كيلو أصبح مجاهداً من أجل
 سوريا التي تريدها أميركا، بل إنه أتى
 بالبراهين أنه أفهم وأروع رجل في سوريا
 بعد بشار أسد؛ لأنه منذ بداية الثورة وهو
 يعتب ويعتب ويعتب: «يا جماعة ماسمعتوا
 كلامي... حيبقى القتل والدبح حتى
 تسمعوا كلامي!» سمعه أوباما فحشر
 جماعته في الائتلاف وأعطاها رئاسته
 فزاد ننته وانتشرت رائحة عمالته والمعاداة
 لمشروع الأمة مشروع الخلافة الإسلامية.
 لقد أظهرت الأحداث المتسارعة في
 ثورة الشام أن معارضة دول الخليج وتركيا
 لعللاقة لها بمطالب الثورة، فهم في وادٍ
 والمسلمون في سوريا في وادٍ، الأمة تقول:
 «قائدنا للأبد سيدنا محمد» وهم يركضون
 وراء أميركا وأوروبا. الثوار يوقعون على
 بيانات تعلن فيها الولاء لله ولرسوله، وهم
 يكذبون هذه البيانات ولسان حالهم ينطق
 بالولاء للغرب فقط! أهل الشام الذي ضحوا
 بالمال والأهل والولد يصرخون: وامعتصماه،
 واخليفتاه، وهم يصرخون: أين مجلس الأمن؟
 أين لاهاي؟ أين جنيف؟ أهل سوريا يطالبون
 بالسلاح، وهم يملكونه ولكن يمنعون...
 بون شاسع وجبال ووديان وبحار متلاطمة
 الأمواج تفصل بين أهل البلد وبين معارضة
 الائتلاف الوطني والمجلس الوطني وهيئة
 التنسيق وغيرهم من المعارضة العلمانية،

الإسلامية المعتدلة) الذين ضلوا الأمة بأنهم
 سيكحمونها بالإسلام سقطوا. سقطوا
 لأنهم أرادوا إرضاء الناس بسخط الله،
 ولم يريدوا إرضاء الله بسخط الناس،
 حدث هذا في مصر ، ويحدث في تونس،
 وتتخبط هناك البلاد الآن، ويأتي العلمانيون
 بحبل من أوروبا لإسقاط هؤلاء زعماء منهم
 أن الإسلام السياسي قد سقط! والحقيقة
 أن الإسلام المدجن على الطريقة الغربية
 هو الذي سقط لا الإسلام السياسي كما
 ادَّعوا ويدَّعون.

ورغم ذلك، بقيت وحدها الحقيقة
 شامخة صامدة، تضيء قلب الشام رغم أنف
 المنضبعين والمتطبعين والعلمانيين والحاquدين
 والعلماء الرسميين والإسلاميين المعتدلين
 والقابضين لأموال الشر من حكام الضرار:
 السعودية وقطر والإمارات والكويت...
 الحقيقة التي أصبحت واقعاً لا يمكن بعد
 اليوم تجاوزه ولا محوه، وأصبحت حديث
 الطبقة الواعية والمثقفة والناهضة من أبناء
 الأمة، تتلخص في كلمة واحدة تُعيد مجد
 أمة وتُسقط طواغيت الأمة إلى غير رجعة.
 إنها «الخلافة» التي رفعت قدر الشام
 عالياً حين صدحت حناجر أهل الشام بها،
 فتوجت ثورتها بمطلب يُرضي الرب ويُغضب
 الغرب. ولم تبقَ حبيسة الشام، بل انطلقت
 هتافاتها تدور أنحاء المعمورة «يا أوباما سماع
 سماع خلافتنا رح ترجع» «إسلامية إسلامية
 ثورتنا إسلامية» ماذا رد أوباما الذي يلهث
 المتطبعون وراء رضاه. إنه لارد لديهم إلا

سلخ لبنان وأقيم فيه كيان لا يقل سوءاً عن كيان يهود، و«كامل النقل بالزعرور» بإقامة كيان الأردن، ثم بيعت سوريا لآل أسد وأرادوا بذلك الإجهاز على أحلام الأمة بالنهوض أو التغيير.

ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد، ففي تلك الظروف شديدة الحلقة من الظلام، شاء الله أن يأتي شيخ كريم عالم جليل بما لم يأت به من سبقوه من العلماء، فأسس العالم العلامة مجدد القرن الشيخ تقي الدين النبهاني حزباً لم يكن عادياً، حزباً سابقاً لزمانه، وأصرَّ رحمه الله على أن يسير هذا الحزب في خط معين لا يحد عنه، قاطعاً مراحل تنبأها على أنها جزء من طريقة ثابتة أتى بها نبي الأمة فصارت حكماً شرعياً لأمناص من اتباعه بحذافيره. فسار بكتلة نشأت أول مانشات في بيت المقدس حيث الأقصى يشهد لأهل الإسلام بأنهم ماخرجوا منه إلا وعادوا إليه فاتحين، وقد خرج حزب التحرير منتشراً في أصقاع العالم؛ فأبهر مفكرين وعلماء ومثقفين بقوة فكره وبرباطة جأشه، فما سمع أحد بماتبناه حزب التحرير وبما خطه أميره الشيخ تقي الدين النبهاني من كتب وأسس لهذا الحزب، ماسمع به مسلم يبحث عن الحق، إلا وطأطأ هامته له مستجيباً لرسول الله متبعاً طريقته.

لذا لم يكن غريباً أن تحتضن ثورة الشام بالذات مطلب وهدف وغاية حزب التحرير ألا وهي الخلافة؛ لأنه حزب تأسس

فلا نقاط التقاء ولا أمل بتقارب بينهم، ولا حل وسط يقتنع به الناس، ولا اهتمام بأي تحرك يتم لتحضير مؤتمر سيولد ميتاً هو جنيف^٢. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل انتهى (الربيع العربي)؟

هو لم يكن كذلك حتى نبحت عنه! إنه تغيير جذري... قلّع للكفر من جذوره من أرض الإسلام، إنها معركة كبيرة فاصلة تتمثل بأحلام الغرب التي تتبدد وبآمال روبيضات الأمة بالبقاء بأي ثمن! اقتلوا الشعوب، احرقوا المساجد، اغتصبوا النساء، شوهوا الأطفال، اسرقوا أموال الأمة، أبيدوا أسلحتها، واغتالوا رجالاتها حتى لايبقى للأمة قوة تستقوي بها، حينها ستركع وستسجد لحاكمها الذي سمّاه علماء السلاطين زوراً وبهتاناً ولي أمر، هذا المغتصب للسلطة الحالم بكل هذا، ولّى زمانه وأفل نجمه وصار من الماضي.

تلك أمانيتهم، ولكن الله يدفع الناس بعضهم ببعض حتى يخرج النور من بين الظلام والعتمة، وتتفجر الينابيع العذبة من بين الأحجار الجامدة، ويأتي نور الخلافة بعد ضلال وجهل الحكم الجبري ليسود شرع الله في الأرض التي قدمت التضحيات الجسام، وهل أكثر من أرض الشام تنطبق عليها هذه الصفات؟ فمن قبل سقوط الخلافة، والشام تدفع أثمان باهظة للبعد عن الإسلام، ثم ضاعت دولتها وسقط عزها ثم سلّخت لؤلؤة الشام، القدس، فانفرط العقد وضاعت فلسطين، وكذلك

فيها وترعرع فيها وانتشر من خلالها؛ لذلك كانت سوريا مطمع أن تكون الحوض الطبيعي لأمل الخلافة القادمة، فارتبطت الخلافة باسم حزب التحرير، وارتبط حزب التحرير بالخلافة. صنوان دل أحدهما على الآخر، وهذا ما قام عليه بكل ما أوتي من قوة أميره الحالي العالم الجليل الشيخ عطاء بن خليل أبو الرشتة، الذي ابتلاه الله بمسؤولية هذا الحزب المترامي الأطراف، يقلق به أميركا وروسيا وأوروبا والصين، وحكام العرب وحكام المسلمين، بلا استثناء. وكله أمل أن يرى الشجرة التي غرسها شيخه النبھاني، وسقاها خلفه الشيخ عبد القديم زلوم، أن يراها وهي تثبت براعمها وتزهر أغصانها بل وترمي ثمارها في أرض الشام، فقام من بداية ثورة الشام، جزاه الله عن هذه الأمة كل خير، برسم خارطة طريق لأهل الشام كي يتوجوا نصرتهم لله ولرسوله ببيعة خليفة هنا في الشام عقر دار الإسلام. وإنا لنلمس استجابة الأمة لخارطة الطريق هذه، ولشروع الخلافة، فلم يتبق إلا أن نرى وعيهم وقد التفوا على حملة مشروعها الذين ضحوا لعقود من الزمان كي تصل الخلافة إلى عقر دارها، فمن يأخذ بناصيتها ويرفع بها أمة الإسلام وينهض بكل مافيه نهضة صحيحة تعود الدولة الأولى في العالم غير ذلك الحزب وأميره؟

نعم، إن أمة الإسلام هي أمة الخير حين تلتزم بما أمرها به الله تعالى، حين تلتزم

بما التزم به حزب التحرير وسهر أميره على لقاء وصفاء هذا الالتزام، حينها سيتنزل عليها النصر كحبات المطر. قد يعتبر البعض هذه الكلمات ضرب من الخيال أو التفاؤل أو التصوف أو القدرية الغيبية! من يعيش هنا معنا في الشام يشعر ويلمس أن الملائكة باسطة أجنحتها على الشام، من يعيش هنا يرى كل يوم كيف يهطل على الشام مايدمر هيروشيما وناكازاكي مرة أخرى، ولكن الله يأخذ بها بعيداً عنا، ونحن ننظر ونتعجب! حتى صار الناس يعلمون أنه إن أصابتهم، فإنما بذنوبهم. ولعل الله رضي عن أولئك الشعث الغبر الذين لاحول لهم ولا قوة إلا حناجرهم وأيديهم، حملوا أرواحهم على أكفهم، وهم يصفقون ويهتفون: «يا الله مالنا غيرك ياالله»، «ياالله الشعب أعزل ياالله» «يا الله انصر دينك يا الله»... فلعل الله ينصرنا وينجز لنا وعده... إنها الخلافة، سلعتها غالية، ولمن يوفي حقها الجنة. اللهم اجعلنا من باني صرحها، اللهم واجعلنا من شهودها، اللهم آمين. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَئِنَّ الْمَصِيرَ ﴿٥٧﴾﴾ □

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد اتباع العلماء في أخذ الأحكام

حمد طيب - بيت المقدس

النصوص من الآيات والأحاديث والعمل بمقتضى هذه النصوص، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ وقال: ﴿أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم» رواه البخاري.

فالأصل في النصوص الشرعية أنها كلام عربيٌّ مفهومٌ له دلالاتٌ ومعانٍ، والأصل في المسلم أن يفهم لغة القرآن؛ وهي اللغة العربية، وبذلك يستطيع المسلم أن يفهم خطاب الشارع من هذه النصوص، وأن يعمل بمقتضاها، وهذا الأمر قد طبقه معظم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث سمعوا القرآن يتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه عليه الصلاة والسلام الأحاديث مباشرة؛ ففهموها ووعوها وعملوا بها، وهذا هو الأصل في هذا الأمر لكل مسلم، يقول (الدكتور عبد الكريم زيدان) في كتاب

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن مسألة تعدد الفتاوى في المسألة الواحدة عند الفقهاء؛ بين التحريم والتحليل، أو المنع والإجازة، وأصبح الناس في حيرة من أمرهم عمّن يأخذون دينهم ومن يقلدون من هؤلاء العلماء، وهم على نقيضين متباعدين في المسألة الواحدة!... فما هي الضوابط الصحيحة في أخذ الرأي عن العلماء، أو رده وعدم أخذه؟ وللإجابة عن هذا السؤال المهم نبحث هذا الموضوع من عدة زوايا:

١- ما هو الأصل الشرعي في طريقة فهم الأحكام ومعرفة فتاها؟ ٢- أين يجوز الاختلاف وتعدد الفتوى، ومتى يحرم ذلك؟ ٣- ما هي الضوابط الشرعية في إعطاء الرأي الشرعي والفتوى؟ ٤- كيف يكون الترجيح بين الآراء الشرعية المتعددة عند المسلم؛ العامي والمتعلم؟ ٥- ما هو واجب الدولة وولي الأمر في مسألة تعدد الآراء الفقهية؟

أما الزاوية الأولى؛ وهي الأصل الشرعي في فهم الأحكام والعمل بها؛ فإن الله عز وجل قد خاطب المسلمين خطاباً مباشراً -كل فردٍ دون تمييز- لفهم

الوجيز في أصول الفقه: «على كل مكلف طاعة الله ورسوله بلا استثناء، وهذا الواجب يستلزم حتماً معرفة ما شرعه الله جلّ جلاله؛ في القرآن أو على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام. ومعرفة ما شرعه الله تكون بالرجوع إلى نصوص القرآن والسنة، واستفادة الأحكام منها بعد فهمها ومعرفة المراد فيها، فإن لم يجد المكلف الحكم صريحاً في هذه النصوص تحول إلى الاجتهاد كما أمر الشرع؛ فيجتهد في نطاق الشريعة... هذا هو السبيل القويم للتعرف على الأحكام والعمل بها..» (الوجيز/ ٤١١)

ولكن هذا الأمر يتعدّد عند الكثير من المسلمين؛ بسبب عدم معرفة اللغة العربية، أو عدم التعمّق في معرفة معانيها وخاصة بعدما كثر اللحن وابتعد الناس عن معرفة الفصحى من هذه اللغة... فيحتاج المسلم إلى من هو أعلم منه في فهم النصوص الشرعية للعمل بمقتضاها، -وهذا الأمر جائز شرعاً بضوابط معينة سنذكرها عندما نتحدث عن الضوابط في ترجيح الرأي وأخذه، - وقد كان قسم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون بعضهم البعض عن مسائل معينة كانت تُشكل عليهم، ويصعب فهمها أحياناً، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تفاوتاً في فهم الصحابة للنصوص الشرعية فقال عليه الصلاة والسلام: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن

الجراح» رواه الدارقطني .

وكان بعض الصحابة يتفوّق على بعض في فهم المسألة الواحدة، فقد ذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُثْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ قال: «روى أن عثمان قد أتى بامرأة قد ولدت لسته أشهر، فأراد أن يقضي عليها بالحدّ، فقال له علي رضي الله عنه: ليس ذلك عليها، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، وقال: ﴿وَالْوَالِدَتُ يُرَضَّعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾؛ فالرضاع أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله ولم يحدها، وهذا يدل على عمق المعرفة الفقهية، وفهم الآيات ودلالاتها عند علي أكثر من عثمان رضي الله عنهما». قال في الوجيز: «... فإذا عجز المكلف عن معرفة الأحكام بهذا الطريق؛ أي (الاجتهاد بنفسه) فإن عليه أن يعمل كما أمره الله، فيسأل أهل العلم عن حكم الله في الواقعة التي يريد معرفة حكمها؛ قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾» (الوجيز

هذا من حيث جواز السؤال واتباع من هو أعلم بالرأي، ويبقى الأصل على أصله؛ وهو تعلم اللغة العربية، وفهم نصوص الشريعة من القرآن الكريم والسنة النبوية مباشرة للعمل بمقتضاها كما ذكر الفقهاء.

أما بالنسبة للأمر الثاني وهو (متى يجوز الاختلاف) وتعدّد الفهم ومتى يحرم

بنى قريظة، فاجتهد بعضهم وصلاتها في الطريق، وقالوا: لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض، فنظروا إلى المعنى، واجتهد آخرون وأخروها إلى بنى قريظة فصلوها ليلاً، نظروا إلى اللفظ، وهؤلاء سلف أهل الظاهر، وهؤلاء سلف أصحاب المعاني والقياس». إعلام الموقعين ٢٠٣/١

فإذا كان النص الشرعي يحتمل تعدد الفهم فإن ذلك الأمر جائز، ويحتاج إلى مرجحات أخرى إن وجدت، وإلا يؤخذ من نفس النص حكم شرعي ويتبع... وهذا ما سنذكره في مسألة الترجيح للرأي... ولكن يحرم تعدد الرأي فيما كان قطعياً في المعنى ولا يحتمل أي معنى آخر، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾؛ فإقامة الصلاة لا تحتمل معنى آخر، وترك الربا أيضاً صريح في الآية، ولا يحتمل معنى آخر... ولا يجوز القول: هناك فهم في جواز ترك الصلاة... وقد بين الأصوليون هذا المعنى فقال الامام المازري في كتاب (إيضاح المحصول من برهان الأصول) في بيان النص الذي لا اجتهاد فيه: «اللفظ الدال على الحكم بصريحه؛ على وجه لا احتمال فيه، ولعل هذا ذكر الصريح احترازاً من الاعتراض بفحوى الخطاب»-الإيضاح/ ص٣٠٥، وقال الأسنوي في نهاية السؤل: (والمجتهد فيه؛ هو الحكم الشرعي المظنون شرعاً، فخرج الأركان الأربعة، وحرمة الزنا، وشرب الخمر، وسائر الضروريات الدينية.. فالأمر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتواتر مع قوة الدلالة في الأحكام فيه يفيد القطع ضرورة...، نهاية

ذلك... فإن الاختلاف الذي حصل بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرهم عليه هو ما كان محتملاً لتعدد الفهم للمعنى؛ وذلك كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة» رواه البخاري عن ابن عمر؛ فهذا النص الشرعي احتمل أكثر من فهم عند صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأول: عدم جواز الصلاة إلا بعد وصول مضارب بنى قريظة، حتى لو حل وقتها وقارب على الانتهاء، والثاني: السرعة في المسير قبل فوات وقت الصلاة؛ وقد اختلف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر؛ فصلى قسم منهم في الطريق، وقسم امتنع عن ذلك فصلى في بنى قريظة، وقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفهمين وأثنى عليهما.. فعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: «قال النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلا في بنى قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي؛ لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي، صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف واحداً منهم» رواه البخاري؛ قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): «قال السهيلي وغيره: في هذا الحديث من الفقه: «إنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية، ولا على من استنبط من النص معنى يخصه» فتح الباري / ٤٧٣/٧، وقال ابن القيم (رحمه الله): «وقد اجتهد الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحكام ولم يعنفهم؛ كما أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في

الناسخ والمنسوخ، والأحاديث صحيحها من ضعيفها...» (ص ٤٠٢-٤٠٥)

٢- ولا بد أيضاً من فهم الواقع فهماً دقيقاً لإنزال النص المناسب على هذا الواقع، فلا تُنزَلُ نصوص الضرورات في الطعام والشراب على غيرها من الحاجات التي لا تصل إلى هذه المرتبة؛ كأخذ الربا مثلاً من أجل شراء سيارة، واعتبارها حاجة بمنزلة الضرورات الشرعية، فهذا الأمر فيه مخالفة في طريقة إنزال النصوص على وقائعها... يقول الإمام الشاطبي في الموافقات: «...إن الاجتهاد في تحقيق المناط لا بد منه بالنسبة إلى كل ناظر وحاكم ومفتٍ، بل بالنسبة إلى كل مكلف في نفسه...» والمناط هو فهم الواقعة المراد إنزال الحكم عليها. (ج ٤- ص ٩٤)

وأما المصلحة في التشريع فإنها تكون حيث يكون النص، فالله سبحانه فقط هو الذي يقرر مصالح العباد، وليس العقل الإنساني؛ لأن هذا العقل ناقص وعاجز عن الإحاطة بكل ما ينفع ويضر، فقد يرى العقل مصلحة في أمر وتكون مفسدة، وقد يراها مفسدة وتكون مصلحة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣١)، يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): «... فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى

قال الدكتور أحمد الزرقا: «لا مساغ للاجتهاد في مورد النص؛ لأن الحكم الشرعي حاصل بالنص، فلا حاجة لبذل الوسع في تحصيله. ولأن الاجتهاد ظني والحكم الحاصل به حاصل بظني، بخلاف الحاصل بالنص فإنه يقيني، ولا يترك اليقيني للظني». شرح القواعد الفقهية (١٤٧).

ونصل إلى النقطة الثالثة في الموضوع

وهي: الضوابط الشرعية في إعطاء الرأي الشرعي؛ (الفتوى)، وأهم الضوابط الشرعية هي:

١- ارتكاز الرأي وانبثاقه من النص الشرعي؛ من القرآن والسنة الصحيحة وما أرشداً إليه من إجماع الصحابة أو القياس، وعدم إعطاء الرأي بناءً على الهوى أو العقل وحده، دون الرجوع إلى النصوص. لأن العقل وحده لا يصلح للبناء التشريعي لأنه يخطئ ويصيب، فكل قول يؤخذ منه ويرد إلا الوحي؛ لأنه لا يحتمل الخطأ ولا يجوز عليه ذلك...

فمن يعطي الرأي الشرعي لا بد أن يكون عنده معرفة بالنصوص وفهمها، ومعرفة بالقياس والإجماع، ولا بد له من الإحاطة بالناسخ والمنسوخ في النصوص، وكيفية الترجيح إذا تعارض نصان ظاهراً، سواء أكان هذان النصان حديثاً مع حديث آخر، أم حديثاً مع قرآن... قال عبد الكريم زيدان في الوجيز: «على المجتهد أن يعرف اللغة العربية؛ على وجه يتمكن به من فهم خطاب العرب ومعاني مفردات كلامهم وأساليبهم في التعبير، وأن يعرف

الترجيح بين الآراء المختلفة؛ فهنا نحتاج إلى قليل من البيان والتدقيق، وهذه المسألة تنقسم إلى عدة أقسام:

١- الترجيح لمن عنده القدرة على الموازنة والمقارنة بين النصوص، أي عنده علم شرعي؛ يمكنه من إعمال الدليل والنظر فيه، وترجيح أحد الدليلين على الآخر.

٢- ترجيح العامي الذي ليس عنده قدرة على فهم النصوص؛ أي ليس عنده علم شرعي يرجع إليه.

فالترجيح عند الأول يكون بناءً على قرينة معينة ترجّح أحد الرأيين في الفتوى على الآخر؛ فمثلاً ينظر في رأيين فيرى أحدهما ارتكز على حديث ضعيف، فيتركه ويرجح الرأي الآخر، أو ينظر فيرى أن أحد الرأيين ارتكز على نصّ منسوخ بآخر فيتركه ويتبع الرأي الثاني... أو ينظر إلى دلالات اللغة العربية فيرى ترجيح أحد الرأيين بناءً على قرينة لغوية؛ فهنا يجب أن تكون عند المرجح قرينة تقوي رأياً على آخر في الأخذ... قال الجويني في البرهان: «الترجيح تغليب بعض الأمارات على بعض في سبيل الظن ولا ينكر القول به على الجملة...» (١٧٥/٢)، والترجيح يكون بناءً على غلبة الظن في فهم المسألة بعد بذل نهاية الوسع في فهم المسألة؛ لأن الاجتهاد يكون بطلب الظن في المسألة الفقهية كما ذكر الفقهاء؛ يقول الدكتور محمد الخضري في أصول الفقه: «وأما الفقهيات الظنية التي ليست عليها دليل قاطع فهي في مجمل الاجتهاد» (ص ٣٧٤)، وقال الأسنوي في كتاب نهاية السؤل: «والشارع إنما أجاز

المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل...» (إعلام الموقعين ٤١/٣)، يقول الشيخ محمد أبو زهرة «... إن المصلحة ثابتة حيث وجد النص، فلا يمكن أن تكون هناك مصلحة مؤكدة أو غالبية والنص القاطع يعارضها، إنما هي ضلال الفكر أو نزعة الهوى، أو غلبة الشهوة أو التأثير بحال عارضة غير دائمة، أو منفعة عاجلة سريعة الزوال، أو تحقيق منفعة مشكوك في وجودها، وهي لا تقف أمام النص الذي جاء من الشارع الحكيم، وثبت ثبوتاً قطعياً لا مجال للنظر فيه ولا في دلالاته» (أصول الفقه - ٢٩٤ / ٢٩٥).

٣- والأمر الثالث في هذه الضوابط هو أن لا يخالف الرأي نصاً أو رأياً صحيحاً صريحاً؛ من قرآن أو سنة، فلا اجتهاد في موضع النصوص الصريحة، وإذا خالف الاجتهاد رأياً صريحاً فإنه يضرب به عرض الحائط، فلا يقال إن الله عز وجل لم يجعل علينا في الدين من حرج لإباحة الربا؛ لأن الربا نصّ صريح في الحرمة، يقول الإمام النووي (رحمه الله) في شرح صحيح مسلم: «... ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه، إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً...» (٢ / ٢٤)، ويقول الماوردي في الأحكام السلطانية: «... وأما ما اختلف الفقهاء في حظره وإباحته، فلا مدخل له في إنكاره، إلا أن يكون مما ضعف الخلاف فيه، وكان ذريعة إلى محذور متفق عليه، كربا النقد فالخلاف فيه ضعيف وهو ذريعة إلى ربا النساء المتفق على تحريمه...» (١٠ / ٢) أما المسألة الرابعة وهي كيفية

فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْ
ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا
يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ وَيَقُولُ: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي
أَلْكِتَابٍ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ
إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٦٠﴾﴾، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ،
سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ.
وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ
عَلَيْهِ وَأَرْضَى عَلَيْهِ النَّاسَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ
دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ
عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ
بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ
وَلَمْ يَعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يَصْدَقَهُمْ
بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ
الْحَوْضِ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ،
وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَابِيهَقِي بِسَنَدٍ
صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«مَنْ بَدَأَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ
أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتَتَنَ، وَمَا أَزْدَادُ أَحَدٍ
مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا أَزْدَادَ مِنَ اللَّهِ بَعْدًا».
وَلَا يُوْخَذُ أَيْضًا مِنَ الْمُتَقَلِّبِ فِي الْفُتُوَى
حَسَبَ الْهَوَى وَالْمَصْلَحَةِ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَقُولُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
سَوَّاءُ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦١﴾﴾، فَالْيَوْمَ يَقُولُ: الرَّبُّ
حَرَامٌ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُوْوَلُّ النُّصُوصَ حَسْبَمَا
يَرَاهُ هَوَاهُ فَيَقُولُ جَائِزٌ إِذَا اقْتَضَتِ الْمَصْلَحَةُ

الظن في المسائل العملية؛ وهي الفروع دون
العلمية كقواعد أصول الدين، وكذلك
قواعد أصول الفقه»، وقال في تعريف
الاجتهاد: «هو استفراغ الوسع في تحصيل
الظن لحكم شرعي» (٥٢٧/٤)

وأما ترجيح العامي فإنه لا يكون بالهوى؛
لأن هذا الرأي أسهل، أو فيه مصلحة،
إنما يجب أن يرتكز على أمرين، الأول:
(الأعلمية)؛ وهذا يكون بالسمع من الناس
أن العالم الفلاني أعلم من العالم الآخر،
والثاني: (التقوى)؛ وهذه أيضاً تكون
بالسمع والمتابعة لأحوال هذا العالم، فإذا
اجتمعت في العالم هاتان الصفتان كان
الترجيح بناءً عليها، فإذا اجتمع عنده عدة
آراء لأكثر من عالم كلهم أتقياء، فإنه
ينظر في أيهم أعلم من الآخر عن طريق
السمع من أهل العلم والتقوى ومن يوثق
بدينه؛ قال الجويني: «...فليعلم الناظر أن
المستفتي لا يتخير في تقليد من شاء من
المفتين، ولكن عليه ضرب من النظر في
تخير واحد منهم لمزية يتخيّلها أو يظنّها لمن
يختار...» (البرهان ١٧٧/٢). وقال سراج
الدين الأرموي في التحصيل من المحصول:
«لا يجوز الاستفتاء إلا ممن يغلب على ظنه
كونه مجتهداً ورعاً، ويعلم ذلك بانتصابه
للفتوى واجتماع المسلمين على سؤاله...»
(٣٠٥/٢)، وقال الخضري في كتاب
الأصول: «لا يستفتى إلا من عُرف بالعلم
والعدالة؛ فمن علم انتفاء أحد الوصفين فيه
امتنع تقليده اتفاقاً» (ص ٣٨٢).

فلا يؤخذ -على سبيل المثال- ممن
اشتهر بكثرة تردده على الظلمة والفساق
ومجالستهم لأن التقوى عنده أصبح فيها نظراً؛

أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ السَّوَادَ قَالُوا لِعُمَرَ: اقْسِمْهُ بَيْنَنَا، فَإِنَّا افْتَتَحْنَاهُ عَنْوَةً، قَالَ: فَأَبَى، وَقَالَ: فَمَا لِمَنْ جَاءَ بَعْدَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ وَأَخَافُ إِنْ قَسَمْتُهُ أَنْ تَفَاسَدُوا بَيْنَكُمْ فِي الْمِيَاهِ، قَالَ: فَأَقَرَّ أَهْلَ السَّوَادِ فِي أَرْضِيهِمْ، وَضَرَبَ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الْجِزْيَةَ، وَعَلَى أَرْضِيهِمُ الطَّسُقَ، وَلَمْ يَقْسِمْ بَيْنَهُمْ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَغْنِي: الْخَرَجُ» (كتاب الأموال (٧١/١))

فيجوز لولي الأمر أن يتبع رأياً في الترجيح، ويلزم به المسلمين ليجمع كلمتهم على هذا الرأي، والشرط في ولي الأمر هو أن يكون فعلاً ولي أمر للمسلمين أي أميراً للمؤمنين، أو خليفة المسلمين لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) فيشترط أن تكون طاعته مقترنة أولاً بطاعة الله ورسوله، ويشترط أن تتوفر فيه صفة ولي الأمر من حيث إنه انعقد له الأمر بالطريقة الشرعية الصحيحة، ويشترط أيضاً أن يكون مسلماً تتوفر فيه شروط الانعقاد الشرعي التي ذكرها العلماء...

أما غير هؤلاء من الحكام في هذا الزمان، أو حتى من العلماء الأتقياء أو غير الأتقياء، فليس من صلاحيتهم أن يتبنوا رأياً ملزماً شرعاً للناس، لأنه لا تتوفر فيهم صفات ولي الأمر الشرعي.. يقول الإمام القرافي في كتاب (أنوار البروق في أنواع الفروق): «... المعروف أن الخلاف نتيجة طبيعية لاختلاف الناس في الأفهام

الاقتصادية، أو يقول: بلاد المسلمين كلها مطلع واحد في الصيام والفطر، ثم في العام التالي يقول: هناك تعدد في المطالع في بلاد المسلمين، ويجوز اختلاف الصوم والفطر..، فمثل هؤلاء لا يؤخذ منهم رأي، ولا يقال هنا: معصيته عليه، ونحن نأخذ من علمه، فهذا يكون عند العالم المرجح، لا عند العامي؛ الذي لا يقدر على معرفة الصحيح من السقيم، فهنا معصيته تؤثر في الأخذ والرد عند العامي...

ونصل إلى النقطة الأخيرة في هذا الموضوع وهي رأي ولي الأمر في الترجيح، فقد كان الخلفاء رضي الله عنهم يتبنون رأياً شرعياً في المسائل الخلافية التي تجمع شمل الأمة، وتصب في طريق وحدتها؛ فمثلاً اتبع أبو بكر رضي الله عنه في فترة خلافته رأياً في طلاق الثلاث، وخالفه عمر رضي الله عنه هذا الرأي عندما ولي الخلافة، جاء في شرح (صحيح مسلم) باب الطلاق: «... رأى عمر رضي الله عنه أيام خلافته تهافت الرجال على طلاق أزواجهم ثلاثاً بإنشاء واحد، فألزمهم بما ألزموا به أنفسهم عقوبة أو تأديباً، والسنن صريحة في نسبة ذلك إليه»، واتبع أبو بكر أيضاً بوصفه ولي الأمر رأياً في تقسيم الضيء والغنائم من الأرض على المحاربين، وخالفه عمر رضي الله عنه فاستند إلى نص شرعي وهو قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠) روى الإمام أبو عبيد في كتاب الأموال عن هُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ حَدَّثَنَا: «قَالَ:

كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾»، وقال عليه الصلاة والسلام في حق الصحابة الذين أمرهم قائدهم أن يدخلوا في النار؛ فيما رواه علي رضي الله عنه حين قال: «بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية وأمر عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم خطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا خطباً فأوقدوا ناراً، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض؛ قال بعضهم: إنما تبعنا النبي صلى الله عليه وسلم فراراً من النار أفندخلها؟، فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً. إنما الطاعة في المعروف» رواه البخاري. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ، فشجه في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل، فمات، فلما قدمنا على رسول الله أخبر بذلك، فقال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر - أو يعصب - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده» رواه أبو داود .

نسأله تعالى أن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... □

وفي النظر، وقد امتلأت كتب الفقه بالخلافات، وللخلاف أسباب ذكرها العلماء - ليس هنا موضع ذكرها - وإنما نريد التأكيد على وجود الخلاف؛ والإمام يحكم اضطراره بالولاية العامة تجاه رعيته، يلزمه أن يمنع التنافر والتنازع، وأن يرفع الخلاف بين الأمة، وهذا من أوجب واجباته»، وقال القرافي رحمه الله: «لو لم يرفع الإمام الخلاف لما استقرت الأحكام، ولبقيت الخصومات، وذلك يوجب التشاجر والتنازع وانتشار الفساد، وهذه تنافي الحكمة التي لأجلها نصب الحكماء». وقال: «فحكم الحاكم يكون رافعاً للخلاف وملزماً للخصوم ولكن ليس على عمومهم بل إذا كانت المسألة اجتهادية» (١٠٣/٢)

هذا ما يتعلق بإيجاز بموضوع كيفية أخذ الرأي الشرعي، فعلى المسلم أن ينظر عمّن يأخذ دينه ولا يأتي يوم القيامة فيقول كما قال البعض من الخاسرين: ﴿يَوْمَ تَقُفُّ أَرْجُلُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٢٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا لَسِيبًا ﴿٢٧﴾ أو ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَبَّأَوْ أَلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٣٣) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾؛ فكل إنسان سيقف بين يدي الله عز وجل وسيسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ولا يُعذر بجهله، فيجب عليه أن يسأل أهل الذكر من أهل التقوى والعلم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ

جزائر «الاستقلال»: بين حقد جنرالات فرنسا و خبث عملاء الإنجليز (٢)

صالح عبد الرحيم - الجزائر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وبعده،
نقدم في ما يلي رؤية سياسية تساعد على فهم ما يحدث في الجزائر اليوم، وتكشف
المستور (أو بعضه) مما يحكيه الاستعمار الغربي في هذا البلد، كما فعل ويفعل في كل
أقطار البلاد الإسلامية لإبقائها تحت النفوذ والهيمنة الاستعمارية، أملاً في أن يتحرك
المسلمون مجدداً - في الجزائر وفي غيرها - في اتجاه التحرر الحقيقي، بالإسلام لا
بغيره... ولن يكون ذلك إلا بقيام دولة الخلافة من جديد...

ومن اللافت أن يوسف بن خدة الذي خلف
فرحات عباس في رئاسة الحكومة المؤقتة
بعد تنحية هذا الأخير في ١٩٦١م عشية
الاستقلال قام - مدفوعاً من بعض خصوم
بومدين العسكريين والسياسيين - بخطوة
جريئة، وحاول إبعاد بومدين عن الجيش في
تشكيله الحكومة الانتقالية الجديدة، إلا
أن محاولته هذه باءت بالفشل، ولم يفلح
في إقصائه، لهذا جرى تحييد بن خدة
مباشرة بعد «الاستقلال» ثم تم إيقاف
نشاطه السياسي نهائياً فيما بعد من طرف
العقيد (كما جرى أيضاً تحييد وإبعاد
سلفه فرحات عباس بشكل كامل، وهو
الذي شغل رئاسة البرلمان لبعض الوقت في
الدولة الجديدة خلال فترة رئاسة بن بلا).
استخدم العقيد بومدين (وجماعته)
هذه الحيلة، أي وضع بن بلا في الواجهة
عشية الاستقلال، ضمن ما كان يريد
تحقيقه من أهداف سياسية أخرى، لكي
يُخفي من جهة انقلابه العسكري المقنع
ولتظهر أمام أنظار العالم الجزائر

والحقيقة أن شكل السلطة المستقبلية
في الجزائر كانت قد بدأت تظهر ملامحه
منذ اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية
في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٩م فيما
عُرف بمؤتمر طرابلس الغرب في ليبيا،
بتأثير وتدبير أجنبي واضح (من الإنجليز
خاصة)، وكان من أهم ما تمخض عنه
المؤتمر إنشاء هيئة أركان عامة للقوات
المسلحة أسندت للعقيد هوارى بومدين،
ومنذ ذلك الحين بدأت تظهر أعمال هذا
الأخير واستراتيجيته لأخذ السلطة، ومنها
إعداده وتنظيمه الجيد لما كان يعرف
بجيش الحدود لإنهاك فرنسا عسكرياً
واقتصادياً من جهة، ولكن من جهة
أخرى لجعله قوة عسكرية (وسياسية في
ذات الوقت) يكون بوسعه الاعتماد عليها
- إلى جانب القوى الموالية في الداخل -
في اللحظة الحاسمة، أي عندما تنهيا
ظروف أخذ الحكم، وليكون كذلك
سنداً بعد الاستقلال، كلما لزم الأمر،
للمحافظة على النفوذ والبقاء في السلطة.

الجديدة المستقلة بحكومة «مدنية» لا عسكرية، يكون هو وزير الدفاع فيها، وتستحق بالتالي كل الدعم من كل الأطراف الدولية التي «تدعم» تقرير مصير الشعوب (أميركا والاتحاد السوفياتي خصوصاً) وتؤيد طموحها للتحرر من الاستعمار، وهذا ما كان! ومن جهة أخرى لكي يتسنى له ترتيب أوراقه والتخلص بذكاء من خصومه السياسيين والعسكريين على السواء - مستخدماً شرعية الدولة الجديدة - ليتها بعد ذلك للوثوب على السلطة ولو بالقوة لاحقاً، بعدما تتضح خطته وتتغير الأجواء والملابسات، وبعدما يضعف أو يندثر الخصوم الثوريون والعسكريون والسياسيون المحتملون، أو يتم تحييدهم أو القضاء عليهم (تصفيتهم) أو نفيهم أو إبعادهم. هذا ولا يخفى أن بن بلاً كان هو الآخر قد شرع بعد ١٩٦٢م في تنفيذ جملة من الخطوات لإقصاء بعض خصومه أملاً في تغليب كفة النفوذ لصالحه بدعم من أميركا وعبد الناصر ولكن دون جدوى، إذ لم يكن الأمر سهلاً، خاصة و أنه كان يفتقر إلى دعم الركيزة الأساسية في الدولة الناشئة (الجيش) خصوصاً بعد ما ساءت علاقته مع وزير الدفاع، إذ لم تكن مفاتيح الحكم الحقيقية بيده.

- أما المكيدة الثانية التي دُبرت لـ بن بلاً: فهي بالتأكيد إزاحته الفعلية عن الحكم، عندما قرّر بومدين وجماعته أن الفرصة قد صارت مواتية، وأن بن بلاً قد انتهى دوره. وهذا ما كان فيما عُرِف

بانقلاب ١٩ حزيران ١٩٦٥م، عندما قام بومدين بمساعدة محمد خيضر وبعض رفاقه ومؤيديه منهم على الخصوص الطاهر الزبيري - وبدعم من عميل الإنجليز وصديق فرنسا وأميركا واليهود ملك المغرب الحسن الثاني - قام بانقلابه المعروف على بن بلاً ووضع في السجن ثم حبسه في إقامة جبرية (إلى غاية أكتوبر ١٩٨٠م). بطبيعة الحال أنصار بومدين إلى اليوم يرفضون وصف هذه الخطوة بالانقلاب، و يطلقون عليها اسم التصحيح الثوري. سيطر بومدين يومها على الدولة باسم ومن خلال مجلس الثورة الذي أنشأه وضمّنه رجالته وصار فعلياً هو من يحكم البلاد، كما سيطر على جبهة التحرير من خلال اللجنة المركزية و المكتب السياسي فيها، اللذين كان يختار أعضاؤهما من «المناضلين المخلصين» سواء العسكريين أم المدنيين، أي من المواليين من أمثال قايد أحمد ومساعدية وغيرهما. و لهذا يخطئ من يظن أن جبهة التحرير هي من كان يوماً يحكم الجزائر خلال كل تلك العقود التي تلت خروج القوات الاستعمارية. إلا أنه لا يخفى ما صار بذلك حينها لجبهة التحرير الوطني (كأداة من الأدوات في الحكم و التحكم، وواجهة سياسية لدى أصحاب القرار) من نفوذ في الأوساط الشعبية وفي مراكز الدولة ومواقع القرار، وكانت هي الحزب بالألف واللام، حتى أصبحت لا يمكن فصلها عن الدولة، وكانت العضوية في جبهة التحرير الوطني تعني مزية وميزة كبرى لمن يطمح

لمنصب في الإدارة و غيرها، بل شرطاً غير مكتوب لتولي مناصب معينة في الدولة. إلا أن الحكم رغم ذلك كله كان كله وما يزال بيد العسكريين منذ ١٩٦٢م إلى اليوم (لهذا الطرف أو ذاك).

لهذا أمكن القول إجمالاً على ضوء ما سبق ودون مبالغة إن بومدين رجل الدولة العسكري-السياسي (المرتبط بالإنجليز و المدعوم من جانبهم في الخفاء) البعيد النظر والذي درس بالزيتونة وبالأزهر هو مَنْ خط الخطوط العريضة للبلد، وهو وجماعته - مجموعة وجدة التاريخية - مَنْ شكلوا الجزائر الحالية. و لا شك أنه كان - بوصفه رئيساً لمجلس الثورة بعد الانقلاب- يحكم البلاد والعباد بدهاء سياسي كبير باسم الشرعية الثورية (الجهاد ضد المستعمر) ويكافح الإمبريالية والاستعمار، وكان يتحدث بلغة الشعب (العربية والإسلام)، ويستخدم في ذات الوقت رصيد جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير في الثورة، وكان قريباً من العمال والفلاحين والكادحين الطلبة، ويتبنى الوطنية والاشتراكية والعروبة والإسلام والوحدة الأفريقية وفكرة عدم الانحياز، وفصل الدين عن الدولة، وهي الخلطة السحرية التي دُوِّخ بها الشعب مدة ليست بالقصيرة (خلطة الإنجليز). ولهذا لم يبعد الشيخ البشير الإبراهيمي (رغم انتمائه للمدرسة الإصلاحية المتأثرة بالوطنية وبأفكار محمد عبده المرتبط هو الآخر بالإنجليز كما هو شأن أستاذه الأفغاني)

عن الحقيقة عندما قال: إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره، كما لم يخطئ السلطان عبد الحميد الثاني عندما قال في مذكراته: إن أكثر ما يجب على المرء أن يحذره من بين الدول الكبرى هو إنكلترا. ومما يجدر ذكره بل التركيز عليه أن بومدين استطاع أن يجعل في واجهة حكمه جبهة التحرير الوطني، التي كانت الواجهة السياسية لجيش التحرير الوطني أيام الثورة، وذلك بتوريط المنتسبين إليها في المزايا والمطامع وغمسهم في المكاسب والمنافع، ثم أصبحت في ما بعد «الاستقلال» مليئة عن قصد بالمنتفعين والانتهازيين من جميع الفئات عسكريين ومدنيين. كما جعل منها حزباً وحيداً مسيطراً على المجتمع ومهيماً على الحياة السياسية ينفذ الرئيس من خلاله إرادته وسلطته على جميع الأصعدة. كان العقيد هوارى بومدين (محمد بوخروبة اسمه الحقيقي) بوصفه رئيساً للدولة ووزيراً للدفاع في ما بعد ١٩٦٥م يفعل كل ذلك وعينه لا تنام عن ضباط فرنسا وأتباعهم ومناصريهم، الذين باتوا - كعسكريين وسياسيين في ذات الوقت - يتحركون بوتيرة أسرع منذ ١٩٧٦م نحو قمة الهرم. إلا أنه على ما يبدو كان يثق بشكل مفرط في قدرته على التحكم في الأوضاع سياسياً وعسكرياً، كما يُمكن القول إنه كان في نفس الوقت متواطئاً، إذ لم يأخذ بتحذيرات الضباط (الوطنيين على الأقل فضلاً عن ذوي الاتجاه الإسلامي) المتخرجين من الأكاديميات

منهم بالذات عبد العزيز بوتفليقة وقاصدي مرباح على سبيل المثال، وكان هذا الأخير رجلَ مخابرات بومدين في سبعينات القرن الماضي و جرت تصفيته لاحقاً في أتون الصراع على المواقع في دواليب الحكم عقب انقلاب ١٩٩٢م في أوج الأحداث الدموية التي عرفتها البلاد... وغيرهم كثير. علماً أن قاصدي مرباح لم يكن في قيادة هيئة الأركان على الحدود الشرقية مع بومدين إبان الثورة، وإنما كان يشتغل على الحدود الغربية مع عبد الحفيظ بوصوف الذي كان يشغل منصب وزير الاستخبارات والتسليح في الحكومة المؤقتة، إلا أنه سار مع بومدين بعدما رجحت كفة هذا الأخير على الباءات الثلاثة الأقوياء في الصراع على السلطة (كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف والأخضر بن طوبال الذين كانوا يشغلون في الحكومة الجزائرية المؤقتة على التوالي: منصب وزير القوات المسلحة، منصب وزير الاستخبارات والتسليح، منصب وزير الداخلية)، وسلم مرباح أرشيف استخبارات الحكومة المؤقتة كاملاً إلى العقيد بومدين، باستثناء بعض الملفات (منها مثلاً ملف تصفية العقيد عميروش وسي الحواس) لا تجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن بومدين -منذ استلامه قيادة الأركان في نهاية ١٩٥٩م وربما قبل ذلك - كان قد أسس جهازاً للاستخبارات والأمن العسكري خاصاً به مستقلاً تماماً وموازياً لجهاز استخبارات الحكومة المؤقتة، وكانت نواته تتألف على وجه الخصوص

العربية المناوئين لعملاء فرنسا المندسين خاصة في الجيش وفي الإدارة (لدرجة أنه كان يردع من يحذره)، وقرر الاستفادة من الضباط الذين كانوا في الجيش الفرنسي من حيث خبراتهم وقدراتهم في إعادة تنظيم وتدريب وعصرنة جيش التحرير، وذلك من أجل الوصول إلى أغراضه السلطوية ضمن ارتباطاته بالجهات الخارجية التي كانت تدعمه سياسياً ومادياً وأمنياً، و كان يرى في ذلك التوافق مصلحة مشتركة! وهو ما سهّل دخولهم وارتقاءهم إلى أعلى المواقع المختلفة والمناصب الحساسة في الجيش خاصة، وجعلهم أيام الثورة يتدافعون بل ويتهافتون لتقديم خدماتهم، عن قصد وسابق تخطيط، لقيادة هيئة الأركان ولجيش التحرير! وهكذا خطط وكاد بعضهم لبعض. والحقيقة التي تخفى على الشعب هي أن هذا المسار الذي رُسم لـ«جزائر الاستقلال» - بعد إزاحة بن بلا - كان توافقاً بريطانياً-فرنسياً ضمن بقاء هذا البلد في نطاق النفوذ الاستعماري الأوروبي إلى اليوم، بعيداً عن التدخل والنفوذ السياسي الأميركي.

ومع النجاح في إبعاد بومدين في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨م بعد إصابته بمرض عضال - أعجز السوفييات (الروس) عن علاجه - إثر تسميمه من طرف هؤلاء الخصوم السياسيين كما أسلفنا، تم أيضاً إقصاء كثير من رجالاته وإبعادهم عن مواقع التأثير (عسكريين وسياسيين)،

بن الشريف قائد الدرك في تلك المرحلة. كان بن جديد قائداً للناحية العسكرية الثانية في غرب الجزائر، ومما يُذكر لدى العسكر أنه عندما طُلب للمهمة كان على طاولة للقمار على متن سفينة قبالة ساحل وهران. كان إلى حد ما مقبولاً من الطرفين على كل حال، بعد أن أُلصقوا في جنبه بعض رجالاتهم أبرزهم رئيس ديوانه فيما بعد الجنرال الراحل العربي بلخير شديد الولاء لفرنسا الذي كان يوصف بأنه رجل الظل وكان من أبرز من خطط لهذه المرحلة، ويُعتقد أنه يهودي متخفّف. تميزت مرحلة بن جديد، الذي لم يكن بالتأكيد مهندس ولا مدبر المرحلة اللاحقة ولا عارفاً بمرامي التحولات الكبيرة التي عرفتها، تميزت ببداية تفكك منظومة الحكم وتقليص هيمنة الحزب الواحد عكس ما كانت عليه أيام سلفه بومدين، إذ لم يكن بن جديد رجلاً سلطوياً، وما أن استلم الرئاسة يوم ٧ شباط (فبراير) ١٩٧٩م حتى ظهر سريعاً و جلياً أن البلاد شرعت في تغيير الوجهة، وكانت النتيجة أن شهدت فترته تحولاً سياسياً واقتصادياً غير مسبوق، وتبديداً سريعاً لاحتياجات البلد من النقد الأجنبي (بدأ الخطر في ١٩٨٦م)، وبروز أطراف سياسية مناوئة من جميع الأطياف، فكانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨م المفبركة وما تلاها من انفتاح سياسي مرتب وموجه ومقصود، وظهور الأحزاب بالعشرات. طمع قادة جبهة القوى الاشتراكية التي يتزعمها الزعيم التاريخي حسين آيت أحمد (من

من القياديين مهدي الشريف وحسين هامل والعربي بوقادوم وعبد الحميد جواوي وكذلك مسعود زقار المدعو رشيد كازا الذي كان مكلفاً لدى بومدين بأوروبا وأميركا، وآخرين...).

وجد أولئك الضباط بعد إزاحة بومدين في الشاذلي بن جديد - الذي لم يكن ذا نصيب من الدهاء السياسي ولا بعيد النظر - شخصية بسيطة يمكن أن تشكل جسراً يؤدي إلى ما يطمحون إليه ولو بعد حين. إذ لم يكن الرجل يحمل أيديولوجية سياسية معينة ولا مشروعاً سياسياً أو نهضوياً يحدد نمطاً للحكم مناوئاً لطرف سياسي بعينه. (يكفي أنه قال عن نفسه يوماً - وهو رئيس للدولة - إنه ليس رجلاً سياسياً!). وهذا بالضبط هو ما «أهله» لتلك المرحلة أي للعب الدور المنوط به من طرف ضباط فرنسا الذين حرصوا منذ أمد بعيد على تغيير الوجهة السياسية والاقتصادية والثقافية للجزائر بما سيخدم مصالح ومآرب المستعمر القديم أي فرنسا لاحقاً! وفي الحقيقة لم يكن هذا الأخير - الشاذلي في الرئاسة - إلا حلاً توافقياً ضمن توازنات الصراع السياسي في تلك المرحلة بين الأطراف المتنافسة والمتصارعة. من بين الشخصيات النافذة التي كانت تتنافس على موقع الرئاسة لخلافة بومدين نذكر على سبيل المثال بوتفليقة وزير الخارجية آنذاك، ومحمد الصالح يحيى والرجل القوي في جبهة التحرير الوطني، والعقيد عبد الغني قائد الناحية العسكرية الخامسة، والعقيد

قبائل البربر ومؤسس أول حزب معارض في ١٩٦٣م على خلفية رفضه ورفض أشياعه تولي العسكريين السلطة في البلاد في لحظة «الاستقلال»، كما أن هذا الموقف كان هو عينه موقف القيادي الثوري محمد بوضياف من انقلاب (٦٢)، طمعوا في موقع في الساحة السياسية الجديدة، فدخل زعيمهم البلاد بعد سنوات طويلة في أوروبا، كما طمع أقطاب الصحو الإسلامية وآخرون. أفسح المجال عن قصد بشكل مدروس ومحسوب لظهور أحزاب إسلامية (ذات اتجاه إسلامي)، وظهرت جبهة الإنقاذ المعروفة وغيرها. في هذه اللحظة بالذات - وليس قبلها - فهمت جبهة التحرير الوطني أنه آن الأوان لتغيير جلدها وارتداء لبوس المرحلة. كل المعلومات والاعتراقات الآن تؤكد أن الظروف والملابسات التي تأسست وظهرت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ ذاتها كانت من صنع وتهيئة النظام، وبالذات الجناح الموالي لفرنسا المتحكم في زمام الأمور في ذلك الوقت، وكان الهدف أساساً استعملها في مباشرة فك الارتباط بين جبهة التحرير الوطني والدولة، وهو ما يعني ضرب الأسرة الثورية في مقتل، تمهيداً لتقليص نفوذ هذه الجبهة الأخيرة وتهميشها، وإنهاء ممارسة الحكم في الجزائر باسم الشرعية الثورية، وباسم المشاركة في حرب التحرير. والحقيقة أن هذا المسعى (فك الارتباط) لم يبلغ مداه إلى اليوم، وتبين أن الأمر لم يكن سهلاً، خصوصاً وأن محترفي السياسة في

الحزب العتيد (جبهة التحرير) يتقنون فن المناورة والمراوغة السياسية وما زالوا متغلغلين بل ومتجذرين في كل دواليب الدولة والمجتمع، ويستعمل كثير منهم ثورة ١٩٥٤م-١٩٦٢م أي حرب التحرير كسجل تجاري، ويلعبون مع النظام (أي مع من في السلطة كائناً من كان، كونهم علمانيين يفصلون بين الدين والسياسة ويدينون بالمصلحة والنفعية) ويلعبون مع قادة العسكر كل الألاعيب من أجل النفوذ ومن أجل البقاء والالتصاق بجهاز الحكم، سواء باسم الشرعية الثورية أم غيرها، ولكن باسم الوطنية وباسم الشعب، ومنهم بوتليقة، ومهري وبلعياط وحجار وبلخادم وغيرهم كثير. ووضعهم اليوم شبيه بوضع البعث في العراق من حيث وعورة الاجتثاث. يخطئ من يظن أن فترة الرئيس الشاذلي بن جديد في بدايتها (١٩٨٠م) شهدت تعزيزاً لدور جبهة التحرير في دوائر السلطة ودواليب الحياة السياسية، خاصة بعدما صدرت المادة ١٢٠ الشهيرة التي فرضت على الإطارات والنقابيين وحتى ممثلي الطلبة الانتماء للجبهة أي أن يكونوا مناضلين في صفوفها كشرط مسبق لتولي مناصب مسؤولية معينة في المنظمات المجتمعية وهيئات الدولة والإدارة العمومية. على العكس من ذلك تماماً: لقد كان ذلك أحد الأساليب الخبيثة المخططة والمقصودة من أصحاب القرار لجلب النقمة الشعبية سريعاً على جبهة التحرير الوطني لتقليص نفوذها لاحقاً، وهذا ما كان. ومن

ناحية أخرى أريد لجبهة الإنقاذ الإسلامية ألا يكون لها مشروعٌ سياسي واضحُ المعالم، وأن تكون جبهة مفتوحة لكل أحد، بغض النظر عن وعيه وفهمه للإسلام أو لما يجري في الواقع، وأن تتبنى الإسلام بشكل مفتوح عام مبهم وبمعنى غير محدد، لكي يسهل توجيهها واختراقها، وبالتالي دفعها أو جرّها أو إيقافها حسب ما تقتضيه السياسة، وبخاصة ضرب الصحوّة الناشئة (التوجه الإسلامي المتصاعد) وتشويه «الإسلام السياسي» المتطلع إلى تغيير نظام الحكم، وهذا ما كان أيضاً.

وهذه الحقيقة في نشأة جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية (ضمن التعددية السياسية الكاذبة، وبهذه الكيفية بالذات)، هي ما يفسر الالتقاء أو التوافق الغريب والمستغرب في تأسيس الجبهة بين أتباع علي بلحاج خطيب المسجد في باب الوادي بالعاصمة وممثل التيار السلفي الذي كان بعيداً عن السياسة إلى تلك اللحظة (على الأقل في تلك البداية) وأتباع رئيس الجبهة عباسي مدني البراغماتي الإسلامي-الوطني والأستاذ الجامعي المتخرج من بريطانيا، وهذا ما يفسر أيضاً العداء الشديد الذي ظهر فجأة على أرضية الصراع السياسي من أجل السيطرة على مراكز التأثير في كل مكان وفي كل موقع، بين أنصار جبهة الإنقاذ فور إنشائها من جهة، و مناضلي جبهة التحرير من جهة أخرى، خصوصاً في مواسم الحملات الانتخابية، وبدا جلياً

لدى المتبعين الواعين في المجتمع أن الجبهة الإسلامية جيء بها باسم التعددية السياسية الزائفة والخادعة خصيصاً لضرب الحزب العتيق الذي كان زمن الحزب الواحد واسع النفوذ لا يتميز عن الدولة ومؤسساتها، و بدا بين الطرفين كره شديد و عداوة نكراء، و ظهرت بغضاء و شحناء مستغربة بين المسلمين من الجهتين، من أجل السيطرة على المواقع والمنابر حتى في المساجد! استغل هذا البغض فيما بعدُ بشكل مدروس ومخطط من قبل الاستخبارات العسكرية التي سيطر عليها حينها رجالات فرنسا، ليصبح في ميدان الصراع عنفاً مادياً مسلحاً وتقاتلاً بين أبناء الشعب، وليصبح مبرراً للتركيب والقمع، كما استخدمته المؤسسة العسكرية الحاكمة أو قادتها بالأحرى بدهاء عندما تقرّر إنهاء المسار الديمقراطي وإلغاء المسار الانتخابي ومواجهة الشعب بالحديد و النار. إلا أن خطة «حزب فرنسا» - كما يسميهم الوزير الأول الأسبق عبد الحميد ابراهيمي الموجود الآن في لندن على رأس إدارة مركز الدراسات المغاربية هناك والمحسوب على الضباط الوطنيين من جماعة الراحل بومدين من أيام الثورة، والذي كان ضمن منظومة الحكم في فترة الشاذلي بن جديد، حيث شغل منصب رئيس الوزراء، وكان عضواً في المكتب السياسي لجبهة التحرير بين ١٩٨٤م و ١٩٨٨م، والذي تم إقصاؤه خارج البلاد نهائياً من طرف ضباط فرنسا، ولم يُمكن من العودة حتى في زمن الوثام البوتفليقي! - هذه الخطة من «حزب

المطالبة بغلق المجال من كل هذه الأطراف كانت بإيعاز وبتواطؤ مع العسكر، تماماً كما فعلت مؤخراً أطراف سياسية عديدة مع الانقلابيين في مصر في لحظة إزاحة مرسي وإبعاد الإخوان وشبح «الإسلام السياسي». يسجل التاريخ أيضاً الموقف المخزي لإخوان الجزائر التابعين للتنظيم العالمي في اللحظة الحرجة، حيث تعاون كبيرهم مع طغمة الجنرالات وتورط حزبُه مصلحياً (كما كان متوقعاً) ضمن صفقة سياسية في اللعبة من أجل «إنقاذ الجزائر» ومن أجل قطع الطريق على قوى «التطرف والأصولية»!

جرى تنصيب مجلس أعلى للدولة مؤلف من خالد نزار وعلي كافي وتيجاني هدام وعلي هارون برئاسة محمد بوضياف الرجل الثوري الذي كان موجوداً في المغرب من أيام الحسن الثاني بعد معارضته - كما سلف الذكر - للسطو على السلطة من قبل العسكريين أي من قبل بومدين وزمرته في ١٩٦٢م، و جرى إقناعه في تلك اللحظة التاريخية الموعودة بوساطة سيد أحمد غزالي رئيس الوزراء آنذاك بالمجيء وتلبية نداء الوطن (لـ «إنقاذ الجزائر من خطر الأصولية»!)، ومن ثم استدراجه لحتفه بعد اغتياله في وضع النهار في مدينة عنابة بشرق البلاد بعد ستة أشهر من قدومه، من طرف عصابة بلخير ونزار، في لعبة الصراع السياسي على النفوذ والمواقع وتصفية الحسابات القديمة والجديدة. □

[يتبع]

فرنسا» المتمثلة في الظاهر في تبني التعددية الحزبية والديمقراطية والانفتاح السياسي، كانت تقتضي في الحقيقة عكس هذا التوجه تماماً. انقلبوا على الأجواء بعد فوز جبهة الإنقاذ وأوقفوا المسار الديمقراطي واستولوا على السلطة كما كان مخططاً بعد إجبار بن جديد على إعلان تنحيه عن الرئاسة في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢م، وألزموه الصمت مدة ليست بالقصيرة.

ومن اللافت أنه في هذه اللحظة التاريخية ظهر زيف الديمقراطية بشكل سافر، وتخلّى «الديمقراطيون» عن ديمقراطيتهم، وتنحى عنهم الغطاء، وأصبح الذين تمنوا بالأمس فتح المجال السياسي وإطلاق مجال الحريات وتحرير الإعلام، من العلمانيين و حثالة الشيوعيين على قتلهم، أصبحوا يطالبون النظام والجيش بالإسراع في غلقه وإنقاذ البلاد، أي يطالبون بالديكتاتورية - إذ كان البديل في نظرهم هو «الإسلاميين»!! بما في ذلك جماعة آيت أحمد الذين سيئروا حينها المسيرات الحاشدة في العاصمة لقطع الطريق على من فاز في الانتخابات أي على «الإسلاميين»، الذين قبلوا بسذاجتهم الدخول في اللعبة الديمقراطية وفي المعترك السياسي على شروط خصومهم! وكان شعار مسيرة أنصار آيت أحمد الذين تجاوز عددهم في شوارع العاصمة يومها المليون شخص يقول: لا للدولة البولييسية، لا للدولة الأصولية، نعم للدولة الديمقراطية! (والحقيقة أن تلك

العلاقة بين «تنظيم الدولة في العراق والشام» ونظام الأسد قائمة من وراء الكواليس!

انضمت تركيا إلى ركب بريطانيا وفرنسا في اتهام تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» بعلاقته بنظام الأسد، حيث أشار وزير الخارجية التركي داوود أوغلو إلى وجود شراكة بين «داعش» والنظام السوري خلف الكواليس. وكان الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند قد أوضح سابقاً بأن هناك توطؤاً موضوعياً بين نظام الأسد وتنظيم الدولة وبأن نظام الأسد قد يكون على صلة بالتنظيمات المتشددة التي تقا تل في بلاده. □

الحموي يقر: اتجهت البنادق إلى صراع بيني، الكل فيه خاسر إلا الأسد

اعتبر رئيس الهيئة السياسية في الجبهة الإسلامية في سوريا عبدالله الحموي أن الاقتتال الداخلي بين «الثوار» يجعل الجميع خاسرين في هذا النزاع إلا نظام بشار الأسد. وأكد الحموي الذي يرأس أيضاً حركة أحرار الشام حول هذا الاقتتال «إنه أمر لطالما انتظره الأسد لينقض على أماكن عجز عن استردادها على مدى أكثر من عام، وينكل بعدها بأهلنا المدنيين فيزهق الأرواح وينتهك الأعراض».. □

مدير المخابرات الأمريكية: صفقة الكيماوي عززت وضع الأسد

أبلغ مدير المخابرات الوطنية الأميركية جيمس كلابر الكونجرس أن الاتفاق الذي أبرم في ٢٠١٣م للتخلص من الأسلحة الكيميائية السورية جعل الرئيس بشار الأسد في وضع أقوى، ولا فرصة تذكر فيما يبدو لأن تتمكن المعارضة قريباً من حمله على ترك السلطة. ولم يذكر كلابر، الذي كان يدلي بإفادة في جلسة للجنة المخابرات بمجلس النواب، لماذا عزز اتفاق الأسلحة الكيميائية الذي أبرم في سبتمبر / أيلول الماضي وضع الأسد. وقال كلابر إن حكومة الأسد ستظل في السلطة على الأرجح في غياب اتفاق دبلوماسي على تشكيل حكومة انتقالية جديدة، وهو ما يعتبره كثير من المراقبين أمراً بعيد المنال. وقال للجنة المخابرات بمجلس النواب «أتوقع استمرار الوضع الحالي لفترة أطول، حالة من الجمود المستمر، حيث لا يستطيع لا النظام ولا المعارضة تحقيق انتصار حاسم».. □

إياد قنبيبي: لقد تم استدراج الإسلاميين إلى الفخ في سوريا!

وضع المحلل السياسي والمؤلف المتخصص في «التطرف الإسلامي»، جراهام فولر (Graham Fuller)، والذي شغل منصب نائب رئيس جهاز المخابرات الأميركية، وعمل بين وزارة الخارجية الأميركية والسي آي إيه (CIA) لمدة سبع وعشرين سنة، وعمل في مؤسسة راند للتخطيط الاستراتيجي متخصصاً في شؤون «الشرق الأوسط»، ثم بروفيسوراً في التاريخ في جامعة (Simon Fraser)...وضع هذا الرجل خلاصة خبرته العريقة في جملة لافتة من كتابه (مستقبل الإسلام السياسي) يقول فيها: «لا شيء يمكن أن

أخبار المسلمين في العالم

يُظهر الإسلاميين بأسوأ صورة أكثر من تجربة فاشلة في الحكم». وقد عقب د. إياد القنبيي بأن هذه الاستراتيجية في إيصال «الإسلاميين» إلى الحكم ثم إفشالهم استخدمت في إسقاط الأحزاب المنخرطة في اللعبة الديمقراطية كما حصل في مصر، لكننا نرى أنها تستخدم أيضاً لتدمير الحالة الجهادية في سوريا بطريقة أخرى. فقد انسحب النظام النصيري من مساحات كبيرة، وتركها تتمتع بأمان نسبي، وتفاوضت دول الجوار عن دخول بعض المجاهدين إلى الشام، ودعمت دول الخليج بعض الفصائل، ما يُشعر بأن هناك إرادة دولية لجعل المجاهدين يسيطرون على بعض المناطق، لتظهر بذور الخلافات المنهجية، فيفشلون في إدارتها وفي علاقتهم بعموم الشعب، ويتأخرون فيما بينهم بشكل يبدو تلقائياً... □

تصاعد التوترات في الشرق الأوسط يرفع الإنفاق العالمي على التسلح

أظهرت عدة دراسات صدرت مؤخراً أن الإنفاق العسكري في الشرق الأوسط زاد بوتيرة أسرع خلال العامين الماضيين. وقال المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية وهو مؤسسة بحثية في لندن إنه يعتقد أن الإنفاق الدفاعي للسعودية بلغ الآن ٥٩,٦ مليار دولار لتتجاوز بريطانيا وتصبح رابع أكبر دولة في العالم من حيث الإنفاق العسكري. وتبرز منطقة الشرق الأوسط بين أكبر ١٥ ميزانية دفاع وأمن في العالم كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي. وتشمل هذه الدول سلطنة عمان والسعودية والعراق والبحرين وإسرائيل وليبيا والجزائر واليمن والأردن وإيران. وزادت ميزانية الدفاع في روسيا ٣٠ في المئة منذ عام ٢٠٠٨م. كما من المتوقع أن ترتفع ٤٣ في المئة خلال السنوات الثلاث المقبلة. كذلك ارتفع الإنفاق العسكري في أفريقيا جنوب الصحراء ١٨ في المئة عام ٢٠١٣م بمفرده. وتعتقد مؤسسة آي.تش.إس جينز الاستشارية أن كل ذلك سيرفع الإنفاق الدفاعي العالمي على التسلح في الأعوام المقبلة... □

محمود جبريل: هناك من يحاول استعادة مصر عبر ليبيا

قال رئيس الحكومة الليبية السابق، محمود جبريل، في لقاء مع رئيس تحرير جريدة «الحياة» غسان شربل، «إن ليبيا اليوم خطرة على نفسها وعلى جيرانها»، لافتاً إلى أن استمرار المنزلق الحالي «يهدد وحدتها وسيادتها واقتصادها، ويدفعها للتحويل إلى مشكلة أمن قومي للدول المجاورة». وحذر من «أن هناك من يخطط لاستعادة مصر عن طريق ليبيا»، لافتاً إلى تقارير تتحدث «عن تهريب الرجال والمال والسلاح» إلى داخل مصر. وكان جبريل يتحدث إلى «الحياة» لمناسبة اقتراب الذكرى الثالثة للثورة الليبية، التي تصادف ١٧ من الشهر الجاري. وتشر «الحياة» الحوار على حلقات. واعترف جبريل أن قطر ساعدت الثورة الليبية، لكنه لاحظ أنها عملت منذ البداية في خطين متوازيين،

وأن تيار الإسلام السياسي كان حليفها الأول. وروى سلسلة من الوقائع تؤكد في نظره أن الدوحة سعت منذ البداية إلى تنصيب عبد الحكيم بلحاج (الأمير السابق للجماعة الإسلامية المقاتلة) قائداً لثوار ليبيا، وأن الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، أمير قطر السابق، عارض علناً جمع السلاح من أيدي الثوار. □

الحكومة البريطانية: جماعة الإخوان المسلمين منظمة قانونية رغم حظر الحكومة المصرية لها

قالت متحدثة باسم الخارجية البريطانية في تصريحات صحفية: «نجري تقييماً لآثار وتبعات قرار الحكومة المصرية المؤقتة الأخير باعتبار الإخوان المسلمين جماعة إرهابية». وأضافت المتحدثة أن بريطانيا «تجري مناقشات مع الشركاء الدوليين بشأن القرار المصري». ومن بين هؤلاء الشركاء الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي. مؤكدة أن بريطانيا غير ملزمة باتباع قرار الحكومة المصرية، وقالت إن القانون البريطاني وحده هو الذي يقرر امكانية تصنيف أي جماعة أو منظمة ضمن قائمة الإرهاب. ويذكر أن عدداً كبيراً من قادة ونشطاء وأعضاء ومتحدثين باسم الإخوان المسلمين يقيمون الآن في بريطانيا. وأضافت المتحدثة «الإخوان المسلمون جماعة قانونية تماماً في المملكة المتحدة». □

وزير الدفاع الأمريكي: عملنا على إعادة التوازن في العلاقة بين الدفاع والدبلوماسية الأمريكية

أكد وزير الدفاع الأميركي تشاك هيغل في مؤتمر ميونيخ للأمن إنه ووزير الخارجية جون كيري «عملنا معاً على إعادة التوازن إلى العلاقة بين الدفاع والدبلوماسية الأميركيين». وشدد هيغل في تصريحات معدة سلفاً على أن الولايات المتحدة «تخرج من حرب استمرت ١٣ عاماً»، بينما تضع الحرب في أفغانستان أوزارها وتسعى واشنطن إلى تفادي الدخول في صراعات عسكرية أخرى في الخارج. وتعكس تصريحات هيغل ما ذكره أوباما في خطابه السنوي عن حالة الاتحاد الذي ألقاه الأسبوع الماضي وقال فيه إنه لم يعد في استطاعة الولايات المتحدة أن تعتمد على القوة العسكرية وحدها، ووعد بالآ ترسل واشنطن الجنود الأميركيين للقتال في الخارج، إلا عندما تكون هناك «ضرورة حقيقية» لذلك. ويعاني الجيش الأميركي من ضغوط بسبب الحروب الطويلة في أعقاب هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م. وسحبت واشنطن قواتها من العراق نهاية عام ٢٠١١م فيما تسعى أيضاً إلى إنجاز اتفاق أمني مع الرئيس الأفغاني حامد كرزاي يسمح للولايات المتحدة بالإبقاء على قوة صغيرة في أفغانستان بعد عام ٢٠١٤م. □

أوباما: التجسس ضروري لكشف ما يخطط له الناس وما يدور في أذهانهم

اتهمت ميركل الولايات المتحدة بخرق غير مقبول للثقة بعد المزاعم المتعلقة بالتتصت على هاتفها المحمول في أكتوبر/تشرين الأول واتصلت هاتفياً بأوباما لتبلغه بأن أي تتصت غير مقبول. وتحت برلين منذ ذلك الوقت على إبرام اتفاقية «عدم تجسس» شاملة مع واشنطن. ودافع أوباما عن أهمية عمل المخابرات الأميركية من أجل الأمن الدولي إلا أنه تعهد بضبط عملية التجسس تلك وعدم التتصت على رؤساء الدول الحليفة! وقال أوباما إن قدرات الأجهزة الأميركية «تتعدى قدرات دول كثيرة أخرى» وأن هذا يعني «مسؤولية خاصة بالنسبة للولايات المتحدة». وأضاف متسائلاً «لماذا نحتاج لأجهزة المخابرات إذا كانت تكتشف فقط الأمور التي يمكنكم أن تقرأوها في (مجلة) دير شبيغل أو نيويورك تايمز». وأردف «هذه الأجهزة مكلفة باكتشاف ما يخطط له الناس وما يدور في أذهانهم وما هي أهدافهم. هذا يدعم أهدافنا الدبلوماسية والسياسية...» □

البيت الأبيض: هجوم وزير الدفاع الإسرائيلي على «كيري» صادم وفي غير محله

وصف البيت الأبيض، هجوم وزير الدفاع (الإسرائيلي) موشيه يعالون، على وزير الخارجية الأميركية جون كيري، بأنه «صادم، في غير محله»، حسبما ذكرت ذلك قناة «سكاي نيوز» بالعربية. وكان وزير الدفاع (الإسرائيلي) قد شن هجوماً لاذعاً على وزير الخارجية الأميركي جون كيري، الذي دفع باستئناف مفاوضات السلام في يوليو الماضي، وانتقد خطته للسلام التي قدمها في جولته الأخيرة بالمنطقة. جاء هذا الهجوم أثناء محادثات مغلقة جرت في وقت سابق بين مسؤولين (إسرائيليين) وأميركيين، وفق تقارير صحفية.. □

أوروبا تطالب بتقاسم السيطرة على الإنترنت مع أميركا

دعت المفوضية الأوروبية إلى تخفيف تأثير الولايات المتحدة على تنظيم الإنترنت في مؤشر على التوتر الناجم عن فضيحة التجسس الإلكتروني التي فجرها المتعاقد السابق في وكالة الأمن القومي الأميركية إدوارد سنودن. وطالبت المفوضية بتخفيف تأثير الولايات المتحدة على المؤسسات التي تتحكم في تقنيات الإنترنت ومنها تلك المنوطة بتعيين عناوين المواقع الإلكترونية التي تسمح لأجهزة الكمبيوتر بتحديد مواقع غيرها من الأجهزة على الشبكة الدولية. وقالت نيلي كروس مفوضة الاتحاد الأوروبي المسؤولة عن سياسة الاتصالات «على أوروبا المشاركة في إيجاد طريق يتمتع بالصدقية من أجل الإدارة الرشيدة للإنترنت على مستوى العالم». وأضافت قائلة «على أوروبا أن تلعب دوراً قوياً في تعريف الشكل الذي يكون عليه النت في المستقبل..» □

مساعدة وزير الخارجية الأمريكي: فليذهب الاتحاد الأوروبي إلى الجحيم

كشفت التصريحات اللاذعة والمخرجة ضد الاتحاد الأوروبي، التي أدلت بها مساعدة وزير الخارجية الأميركي، صراع النفوذ الدائر بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة بشأن أوكرانيا. ففي محادثة هاتفية قالت مساعدة وزير الخارجية الأميركية للشؤون الأوروبية، فيكتوريا نولاند، بشأن دور الاتحاد الأوروبي في أوكرانيا «ليذهب الاتحاد الأوروبي إلى الجحيم» موجهة الحديث إلى سفير الولايات المتحدة في كييف، جوفري بيات، وذلك كما جاء في شريط صوتي نشر على موقع يوتيوب. ورداً على ذلك قالت المتحدة باسم وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون «لا تعليق» فيما رفضت فيكتوريا نولاند في كييف، «التعليق على محادثة دبلوماسية خاصة». من جهتها أكدت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل أن تصريحات نولاند «غير مقبولة على الإطلاق». وتأتي هذه التصريحات إثر احتجاجات عارمة مناهضة للحكومة الأوكرانية اندلعت في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني بعد أن رفض الرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش توقيع اتفاق للشراكة والتجارة مع الاتحاد الأوروبي، بعد ضغط قوي من جانب موسكو. □

الرئيس اللبناني يعلن عن مساعدة عسكرية سعودية للجيش بقيمة ٣ مليارات دولار عبر فرنسا

دعا رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان جميع اللبنانيين إلى الالتفاف حول المؤسسات العسكرية. وفي كلمة ألقاها من قصر بعبدا، أشار إلى انه تمكّن من خلال الاتصالات مع السعودية والملك السعودي عبدالله بن عبد العزيز من توفير دعم استثنائي لصالح الجيش اللبناني، بقيمة ثلاثة مليارات دولار ستسمح له بالحصول على أسلحة جديدة وحديثة. وأضاف سليمان أن فرنسا ساهمت في إقرار الدعم الدولي للبنان، لافتاً إلى «أن هذا الدعم هو الأكبر في تاريخ لبنان والجيش اللبناني، ويكفي لتمكين الجيش من القيام بمهامه». وقد شنت الجماعات المؤيدة لحزب الله وسوريا هجوماً شديداً على ميشال سليمان وعلى المنحة السعودية متعهدين بمنعها من أن تمر باعتبارها منحة سياسية يبتغى منها استمالة الجيش ضد المقاومة! □

الوعي السياسي على القوى المحلية والدولية المؤثرة

(من خلال آيات القرآن الكريم)



جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه

عطاء بن خليل أبو الرسته

أمير حزب التحرير حفظه الله عند تفسيره لآيتي:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمِعُوا
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ
وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

فائدة عظيمة في بيان أن الرسول ﷺ كان يقوم ، بوحى القرآن الكريم له، بالصراع
الفكري والسياسي إلى جانب الصراع المادي العسكري، مع التركيز هنا على الصراع
السياسي مع يهود لأنهم كانوا الأقرب إلى دولة الإسلام في ضواحي المدينة وحولها، ولأنهم
كذلك كانوا الأكثر خبثاً ولؤماً في المؤامرات والكيد للإسلام والمسلمين. وهو ما يلي:

وهنا لا بدّ من وقفة تدبر فيها ما أورد الله سبحانه في سورة البقرة حول طبائع اليهود
الخبثية وأعمالهم السياسية الخاقدة الماكرة ومحاولاتهم العقيمة ومناوراتهم السقيمة لنردك
الحكم الشرعي المتعلق بالوعي على الواقع المحلي والدولي بالنسبة للإسلام وحملته.

وحتى تكون الصورة أكثر وضوحاً لا بدّ من تدبر هذا الأمر في مكة والرسول ﷺ وصحبه
يصارعون فكرياً وسياسياً مجتمع مكة الجاهلي الكافر، ثمّ من بعدّ تدبر الصراع السياسي
والفكري وكذلك الصراع المادي مع الكفار بعامّة ويهود بخاصّة في المدينة عندما كانت
للمسلمين دولة تطبق الإسلام وتقيم الحدود وتسيّر الجيوش وتنشر الإسلام بالدعوة والجهاد.
وبناءً عليه نبدأ باستعراض واقع الصراع السياسي والفكري مع الكفر وأهله في فترة حمل
الدعوة الإسلامية في مكة قبل قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

وباستقراء الأدلة الشرعية الواردة والوقائع التي كانت جارية يتبين ما يلي:

أولاً: لقد كانت الآيات تنزل في مكة على رسول الله ﷺ تبين العقيدة الإسلامية لتنقذ ذلك المجتمع الجاهلي الكافر من الظلمات إلى النور، وكذلك تنزل مبينة فساد عقائد الكفر وتسفيه أحلامهم وأصنامهم وتقيم الحجة عليهم فكرياً، فكان الصراع بين الدعوة الإسلامية والكفر وأهله صراعاً عقدياً وفكرياً، - وسنبينه إن شاء الله في موضع آخر - وبالإضافة إلى ذلك كان هناك الصراع السياسي لبيان فساد رؤوس الكفر وكشف مؤامراتهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين فضلاً عن قيامهم بالصد عن سبيل الله وتغيب حملة الإسلام وإلحاق الأذى بهم، ثم وقوف رؤوس الكفر أولئك في وجه الدعوة إلى الله بكل ما أوتوا من ظلم وظلام وشر.

وسنرجئ البحث في الصراع العقدي والفكري بين الدعوة الإسلامية والكفر وأهله إلى موضع آخر - إن شاء الله - ولكننا سنتناول هنا الوعي السياسي على رؤوس الكفر كما وصفهم القرآن وصفاً حياً بآيات تنطق بفساد علانيتهم وخبث سرائرهم وتكشف مؤامراتهم وصددهم وكيدهم للإسلام والمسلمين:

١. فهذا أبو لهب يبين الله هلاكه على الكفر دون أن تنفعه أمواله في تأخير العذاب عنه، بل هو في نار جهنم خالداً فيها، وصاحبه معه بسوء صنيعها من إحضارها الشوك في طريق رسول الله ﷺ لإلحاق الأذى به صلوات الله وسلامه عليه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ (٥)﴾ سورة المسد.

٢. وذاك الوليد بن المغيرة وكان قد جاء رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رقى له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، قل في محمدٍ قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ وكارهٌ له، قال: ماذا أقول؟ والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمينرٌ أعلاه ومشرقٌ أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو عليه، وإنه ليحطيمٌ ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: دعني حتى أفكر. فلما فكر قال: هذا سحرٌ يؤثر يآثره عن غيره، فأنزل الله فيه ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝ (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۝ (١٦) سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ۝ (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ۝ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ (٢٣) فَقَالَ إِن هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ (٢٤) إِنَّ هَٰذَا

إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ المدثر/ آية ١١-٢٥.

٣. ثم يتوعد أبو جهل ويتهدد المسلمين ويقول: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأنَّ على رقبته ولأعفرنَّ وجهه في التراب. فأنزل الله فيه ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾﴾ العلق/ آية ١٥-١٨. وكان أبو جهل يستهزئ بآيات الله فيأتي بالتمر والزبد فيقول: ترقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد، فأنزل الله فيه ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ الدخان/ آية ٤٣-٤٩.

٤. وكان الأخنس بن شريق يسعى بالفساد والإفساد، كذاب حقير الرأي، فأنزل الله فيه قولاً بليغاً مبيناً فساد طبعه ونسبه ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَزَ مَشَاءً بَنِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ القلم/ آية ١٠-١٣.

٥. وكان عقبة بن أبي معيط يحضر مجلس النبي ﷺ فيزجره أبي بن خلف، فأنزل الله فيه ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١٩﴾﴾ الفرقان/ آية ٢٧-٢٩.

هذه الآيات وآيات غيرها تبين أهمية الوعي السياسي على القوى المؤثرة التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية والكشف عن مؤامراتها وحقدتها وطباعها اللئيمة المليئة بالغدر والمكر، وارتباطاتها برؤوس الكفر عدوة الإسلام والمسلمين، وذلك لتكون الطريق مضاءةً أمام حملة دعوة الإسلام، يتفادون الغدر من الظهر، ويضعون أقدامهم حيث لا أشواك ولا ظلام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وفي الوقت نفسه يخلخلون قلاع الأعداء ويكشفون ثغراتهم بل مناطق الضعف فيهم وكيف يُؤتون ومن أين يُؤتون.

ثانياً: لقد ازداد هذا الوعي السياسي على أعداء الإسلام بعد أن كانت الهجرة وأقيمت الدولة وأصبح للإسلام سيادة وسلطان في المدينة المنورة.

فاستمرت الآيات تنزل في العقيدة الإسلامية وفي بيان عقائد الكفر، وهنا أضيف للمشاركين في مكة العرب، عقائد أهل الكتاب اليهود والنصارى، واستمرت كذلك تنزل في بيان فساد الأفكار المضللة وتنزل في الصراع السياسي مع القوى المحلية والدولية المؤثرة، وأصبحت هذه أوسع من ذي قبل فضُمَّ لها - أي لكفار مكة ومشركي العرب - المنافقون واليهود والنصارى وفارس والروم وغيرهم، ثم أضيف إلى ذلك كله الصراع المادي

بالجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام بالدعوة والجهاد.

غير أنني هنا - كما ذكرت من قبل - سأركز فقط على الصراع السياسي مع يهود لأنهم كانوا الأقرب إلى دولة الإسلام في ضواحي المدينة وحولها، ولأنهم كذلك الأكثر خبثاً ولؤماً في المؤامرات والكيد للإسلام والمسلمين.

أما عن باقي أوجه الصراع فلعلني أتمكن من ذلك في وقتٍ آخر وفي موضعٍ آخر إن شاء الله.

وأما عن يهود فقد كشف الله طباعهم للملأ وبين حقدهم وكيدهم بياناً شافياً وافياً كدرسٍ عظيمٍ للتعامل معهم وبخاصة أن كيانات كانت لهم، أي أنهم كانوا دولاً في جوار دولة الإسلام في المدينة:

١. فعلاقتهم مع الله علاقة كفر به سبحانه وبنعمه، فلم يلبث أن ذهب موسى - عليه السلام - لميقات ربه حتى اتخذوا العجل من بعده إلهاً لهم فكفروا علانية، فلما رجع موسى - عليه السلام - وتقبل الله توبتهم عادوا يرفضون الإيمان حتى يروا الله جهرَةً فأخذتهم الصاعقة، ثم تاب الله عليهم وأنزل عليهم المن والسلوى ومع ذلك كفروا بهذه النعم وظلموا أنفسهم بتعريضها لعقاب الله وشديد عذابه ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿البقرة/ آية ٥١-٥٢﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِّن بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ البقرة/ آية ٥٥-٥٧.

٢. وعلاقتهم مع دينهم التحريف والنفاق:

فهم يحرفون التوراة على علم، يعلمون صفة الرسول ﷺ ومع ذلك يغيرونها، ويعلمون ما فُرض عليهم من أحكام ثم يبدلوها ﴿أَفَنُظْمِعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) البقرة/ آية ٧٥ ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٦١) البقرة/ آية ١٤٦.

ثم إنهم في النفاق لأولو باعٍ طويلٍ لا يضرهم أن يعلنوا الإيمان ثم يخفوا التآمر والكفر

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ۖ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ البقرة/آية ٧٦ .

٣. وعلاقتهم مع الأنبياء الغدر والقتل والحسد:

فكان النبي إذا جاءهم على غير ما يشتهون قتلوه واستكبروا عنه ولم يتبعوه ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ البقرة/آية ٨٧
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمَ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نُنَزِّلُ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوا بِمَا وَرَاءَهُ ۚ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة/آية ٩١ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة/آية ٦١ .

حتى إنهم وقد كانوا على يقين بأن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر والموعود في كتبهم بصفته ونعته، وأنهم كانوا يعرفون رسول الله كما يعرفون أبناءهم، وكانوا يستنصرون به على الأوس والخزرج ويتوعدونهم بأن نبياً سيعث ويكونون من أتباعه، ومع ذلك فلما جاءهم هذا الرسول ﷺ امتلأت قلوبهم غيظاً وحسداً كيف يكون من ولد إسماعيل - عليه السلام - وليس من ولد إسحاق عليه السلام جدهم كما يقولون! فلم يؤمنوا بالرسول ﷺ وهم يعلمون صدقه ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة/آية ٨٩ ﴿ أَشْرَوْا بِهِ ۖ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ البقرة/آية ٩٠-٩١ .

٤. وعلاقتهم مع العهود والمواثيق نقض وإعراض، وكلما أخذ الله منهم ميثاقاً نقضوه، فأخذ الله عليهم ميثاق تنفيذ التوراة، فرفضوا فهددهم الله بعقاب أليم أن يرفع الجبل ويوقعه عليهم، فوافقوا ثم عادوا فأعرضوا لأن النقض والإعراض عن تنفيذ المواثيق هو ديدنهم ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة/آية ٦٣ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ البقرة/آية ٦٤-٦٣ .

٥. وعلاقتهم مع تنفيذ أمر الله التلكؤ والتبريرات والحيل والتأويلات: فقد مُنِعُوا الصيد يوم السبت لكنهم كانوا ينصبون الشباك ويحفرون قنوات ليدخل السمك فيها يوم السبت، ثم يذهبون لإحضارها يوم الأحد فيكون الصيد قد حصل عملياً يوم السبت وهم

يعلمون ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ البقرة/آية ٦٥ «لعن الله اليهود، حرّم الله عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها»^١ فهم قد حرمت عليهم الشحوم فتحاليلوا على التحريم بأن استعملوها في غير الأكل للاستصباح بها وطلاء السفن.

ثم إنهم قتلوا نفساً وأنكر كلّ منهم أنه القاتل، أمرهم الله سبحانه أن يذبحوا بقرة فيضربوا القاتل ببعضها ليحيى ويخبر بقاتله، ولكنهم تلكأوا بالتساؤلات والاستفسارات ليعطلوا تنفيذ الأمر أكبر قدر ممكن حتى لم يجدوا سبيلاً لمزيد استفسار فأدوا الأمر بتشاغل سقيم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَافُظُهُمْ قَالُوا قَالَ أَغُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَن جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ البقرة/آية ٦٧-٧١.

٦. وعلاقتهم مع غيرهم من الناس فسادٌ وإفسادٌ دون أن يراعوا في غيرهم حلالاً أو حراماً، بل يجيزوا السوء معهم وهم يعلمون ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَكِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ آل عمران/آية ٧٥. والأميون عندهم غير اليهود فليس عليهم سبيل في إساءة التعامل معهم ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ المائدة/آية ٦٤ ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسِرُّونَ فِي الْأَلْمِرِ وَالْعُدُونِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ المائدة/آية ٦٢ والسحت هو المال الذي يكسبونه بالحرام.

٧. ثم إنهم يجيزون مخالفة دينهم إن كان في ذلك مصلحة من جاء أو سلطانٍ أو أمرٍ من الدنيا، بل إذا لزم الأمر يغيرون آيات الله بشمنٍ بخسٍ يتقاضونه مقابل ذلك من مالٍ أو أية مصلحة دنيوية لهم، فلا قيمة ثابتة لديهم ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ

لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة/آية ٧٩.

وأمر آخر، فإذا لزم أن يقتلوا بعضهم ليؤججوا حرباً بين أقوام عدو لهم فلا يجدون ضيراً في ذلك، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة أنى كانت، وقد صنعوا هذا فيما مضى بتأجيج الحرب بين الأوس والخزرج بوقوف كل فريق منهم مع قبيلة منهما الأوس والخزرج ثم يثيرون الفتنة كل فريق منهم مع قبيلة لتبقى الحرب مستعرة لإضعاف القبيلتين، وقد يقتل من يهود أثناء ذلك، ولكن لا بأس عندهم في ذلك ما دام فيه مصلحة من هيمنة أو سلطان، يخالفون دينهم بقتل أنفسهم إن كان ذلك يحقق لهم هدفاً ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ البقرة/آية ٨٥.

٨. ثم إنهم يغمزون ويلمزون ويسيعون الأحاديث وينشرون الأباطيل ويحكيون المؤامرات لإبعاد المسلمين عن دينهم؛ فهم يبحثون عن كلمات بدلالات سيئة لنشرها ضد الإسلام ورسوله ﷺ كما صنعوا باستغلال كلمة (راعنا) ذات دلالة السب والشتم في لغتهم، واستغلال موافقة حروفها لكلمة (راعنا) العربية التي كان يستعملها المسلمون في مخاطبة الرسول ﷺ بمعنى أنظرنا وأمهلنا، فاستغلوا ذلك وأكثروا من استعمال كلمتهم بدلالاتها السيئة، ويوجهون ذلك إلى رسول الله ﷺ، إلى أن أنزل الله في ذلك قرآناً منع استعمالها وردّ كيدهم في نحرهم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ النساء/آية ٤٦.

٩. ثم إنهم كانوا يؤمنون تارةً ويكفرون بعدها محاولين التأثير على المؤمنين، ويودون بذلك أن يرجعوه عن الإسلام حسداً من عند أنفسهم وكيداً للإسلام والمسلمين ﴿وَقَالَتْ طَافِقَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمْثُلُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ آل عمران/آية ٧٢﴾ ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١١﴾ المائدة/آية ٦١﴾ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ البقرة/آية ١٠٩.

١٠. تظفلهم على الآخرين فلا قوة لهم ولا عزة ولا طمأنينة في غنى أو أمنٍ إلا في حالتين:

أ. الذين آمنوا مع أنبيائهم - حبل من الله - وتلك قد انتهت.

ب. في حال تطفل وتبعية على الدول الأخرى - حبل من الناس - وهذه حالتهم منذ أن كفروا وحرفوا دينهم، هي حالة واضحة عليهم لا تفارقهم فقبل الإسلام كانت قوتهم تارة تأتي بالتبعية للروم أو للفرس ثم بشقّ الصف بين الأوس والخزرج لإضعافهم، فلما قضى الإسلام عليهم ككيان عاش من بقي منهم في ذلةٍ ومسكنةٍ وغضبٍ من الله ولم تقم لهم قائمة حتى استطاعوا أن يلتصقوا بالدول الكافرة المستعمرة خلال هذا القرن بعد زوال دولة الإسلام - دولة الخلافة - فهم على الدوام في خضوعٍ وخنوعٍ لدولةٍ أو أكثر من دول الأرض، يتطفلون عليهم في القوة والمال. وحال دولتهم الحالية المغتصبة لفلسطين ماثلة للعيان لا يحتاج إلى برهانٍ، وإنَّ أضعف الأعداء من كان خالياً من القوة الذاتية والقوة المستندة إليه والمؤونة المالية المغطاة من إمكانياته، وهذا ما يفترقه يهود والوقائع تثبت ذلك، والقضاء عليهم قريب بإذن الله بقرب عودة الخلافة للوجود، وقرب استئناف الجهاد عبر الحدود ﴿لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَتِّلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَدْبَارَهُمْ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا إِلَّا لِحِجْلِ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ آل عمران/آية ١١١-١١٢.

وجملة القول إن من تدبر هذه الآيات العظيمة التي ذكرناها سواء ما نزل منها في مكة بالنسبة لرؤوس الكفر هناك قبل قيام الدولة الإسلامية أو ما نزل منها في المدينة بالنسبة لليهود بعد قيام الدولة الإسلامية، فإن المتدبر لها يرى أن الله سبحانه قد وصف واقعهم وبيّن طبائعهم بياناً لا يقف عند الإجمال بل يدخل في التفاصيل في أمورٍ كثيرةٍ منها، وكلّ ذلك ليتبين المسلمون، وبخاصة حملة الإسلام منهم العاملون لاستئناف الحياة الإسلامية في الأرض، ليتبينوا أن معرفة الواقع السياسي للقوى المؤثرة أفراداً كانوا أو جماعاتٍ أو دولاً أمر مهم ومهم للتعامل معهم بما يقتضيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما أرشده إليه ليكون المسلم واعياً على ما يجري حوله كيّساً فطناً وليس خباً ولا الخبّ يخدعه، ولا تكسره المصائب ولا تهزه النوائب، لا يؤخّذ على حين غرةٍ، ولا يطعن في الظهر وهو غافلٌ لا يدري من أي اتجاه تأتيه السهام أو تصيبه السيوف، بل يهتم بأمر المسلمين، ويقف على ثغرةٍ أو فوقها من ثغر الإسلام، لا يؤتى من محذره ولا من مأمنه، ثابتٌ على الحق كالطود بإذن الله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ إبراهيم/آية ٢٧. □

رياض الجنة أخلاق الرسول ﷺ

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

- كان ﷺ يخفض النعل (يخرزها لإصلاحها) ويرقع الثوب، ويفتح الباب، ويحلب الشاة، ويطحن مع الخادم إذا أعيأ (يعينه إذا تعب).
- وكان ﷺ يضع ظهوره بالليل بيده، يهيئ ماء وضوئه بنفسه لقيامه وتهجده في الليل، ولا يطلب ذلك من أحد.
- وكان ﷺ يخدم في مهنة أهله، يقوم بأعمال أزواجه معيناً لهم في شؤونهم، ويقطع اللحم.
- وكان ﷺ لا يثبت بصره في وجه أحد محدقاً به؛ حتى يأمن ويستأنس.
- وكان ﷺ يلبس خاتم فضة في خنصره الأيمن، يجعل فص خاتمه في بطن كفه، و كان كثيراً ما ينظر إليه.
- وكان ﷺ يستاك عند الوضوء منظفاً أسنانه، ويشيع الجنائز، ويعود المرضى في أقصى المدينة.
- وكان ﷺ يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ولا يجفو أحداً، ويقبل معذرة المعتذر إليه.
- وكان أكثر الناس تبسماً ما لم تجرِ عضة (ما لم يجرِ إلى التطرق إلى الموعظة فلا يناسبها التبسم) وربما ضحك من غير قهقهة.
- وكان ﷺ في الرضا والغضب لا يقول إلا حقاً.
- وكان ﷺ يقول: «اللهم أحييني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين».
- وكانت تحية أصحابه له ﷺ «أنعم صباحاً وأنعم مساءً» وهي تحية أهل الجاهلية، فأنزل الله سبحانه ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ فقال لأصحابه: «قد أبدلنا الله بخير من ذلك تحية أهل الجنة: السلام عليكم». □

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله بن جحش (أول من دعي بأمر المؤمنين)

بن جحش ثاني المهاجرين إذ لم يسبقه إلى هذا الفضل إلا أبو سلمة. على أن الهجرة إلى الله، ومفارقة الأهل والوطن في سبيله لم تكن أمراً جديداً على عبد الله بن جحش، فقد هاجر هو وبعض ذويه قبل ذلك إلى الحبشة؛ لكن هجرته هذه المرة كانت أشمل وأوسع، فقد هاجر أهله وذووه، وسائر بني أبيه رجالاً ونساءً، وشيخاً وشباناً وصبية وصبيات، فقد كان بيته بيت إسلام، وقبيله قبيل إيمان. فما إن فصلوا عن مكة حتى بدت ديارهم حزينة كئيبة، وغدت خواء خلاء كأن لم يكن فيها أنيس من قبل، ولم يسمر في ربوعها سامرٌ.

ولم يمض غير قليل على هجرة عبد الله ومن معه حتى خرج زعماء قريش يطوفون في أحياء مكة، لمعرفة من رحل عنها من المسلمين ومن بقي منهم، وكان فيهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة،

الصحابي الذي نسوق عنه الحديث الآن وثيق الصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وواحد من أصحاب الأوليات في الإسلام. فهو ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ذلك لأن أمه أميمة بنت عبد المطلب كانت عمه النبي عليه الصلاة والسلام. وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن أخته زينب بنت جحش كانت زوجة النبي الكريم، وإحدى أمهات المؤمنين. وهو أول من عُقد له لواء في الإسلام. وهو بعد ذلك أول من دعي أمير المؤمنين... إنه عبد الله بن جحش الأسدي.

أسلم عبد الله بن جحش، قبل أن يدخل النبي عليه الصلاة والسلام دار الأرقم، فكان من السابقين إلى الإسلام. ولما أذن النبي عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم من أذى قريش، كان عبد الله

عسكري في الإسلام، فيهم عبد الله بن جحش وسعد بن أبي وقاص وقال: «لَأَوْمِرَنَّ عَلَيْكُمْ أَصْبِرْكُمْ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ» ثم عقد لواءهم لعبد الله بن جحش، فكان أول أمير أُمر على طائفة من المؤمنين. (وروي أن أول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقيل غير ذلك).

حدّد الرسول الكريم لعبد الله بن جحش وجهته وأعطاه كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد مسيرة يومين. فلما انقضى على مسيرة السرية يومان نظر عبد الله في الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل نخلة» بين الطائف ومكة، فترصد بها قريشاً، وقف لنا على أخبارهم». وما إن أتم عبد الله الكتاب حتى قال: سمعاً وطاعة لنبى الله، ثم قال لأصحابه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أمضي إلى نخلة لأرصد قريشاً حتى آتية بأخبارهم، وقد نهاني عن أن أستكره أحداً منكم على المضي معي، فمن يريد الشهادة ويرغب فيها فليصحبني، ومن كره ذلك فليرجع غير مذموم. فقال القوم: سمعاً وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما نمضي معك حيث أمرك نبى الله.

ثم سار القوم حتى بلغوا نخلة

فنظر عتبة إلى منازل بني جحش تتأوح فيها الرياح السافيات (التي تثير التراب) وتخفق أبوابها خفقا وقال: أصبحت ديار بني جحش خلاً تبكي أهلها، فقال أبو جهل: ومن هؤلاء حتى تبكيهم الديار؟! ثم وضع أبو جهل يده على دار عبد الله بن جحش، فقد كانت أجمل هذه الدور وأغناها، وجعل يتصرف فيها وفي متاعها كما يتصرف المالك في ملكه. فلما بلغ عبد الله بن جحش ما صنع أبو جهل بداره، ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً في الجنة؟». قال: بلى يا رسول الله. قال: «فذلك لك». فطابت نفس عبد الله وقرت عينه.

ما كاد عبد الله بن جحش يستقر في المدينة بعدما تكبده من نصب في هجرته الأولى والثانية، وما كاد يذوق شيئاً من طعم الراحة في كنف الأنصار، بعدما ناله من أذى على يد قريش، حتى شاء الله أن يتعرض لأقصى امتحان عرفه في حياته، وأن يعاني أعنف تجربة لقيها منذ أسلم.

فلنرهدف السمع لقصة تلك التجربة القاسية المرة:

انتدب الرسول صلوات الله عليه ثمانية من أصحابه للقيام بأول عمل

وسلم، ووقف على ما فعلوه استكره أشد الاستككار، وقال لهم: «والله ما أمرتكم بقتال، وإنما أمرتكم أن تقضوا على أخبار قريش، وأن ترصدوا حركتها». وأوقف الأسيرين حتى ينظر في أمرهما، وأعرض عن العير فلم يأخذ منها شيئاً.

عند ذلك سَقَطَ في أيدي عبد الله بن جحش وأصحابه، وأيقنوا أنهم هلكوا بمخالفتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وزاد عليهم الأمر ضيقاً أن إخوانهم من المسلمين طَفِقُوا يكثرون عليهم من اللوم، ويزورون عنهم كُلِّماً مَرُّوا بهم ويقولون: خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد ازدادوا حرجاً على حرج حين علموا أن قريشاً اتخذت من هذه الحادثة ذريعة للنيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتشهير به بين القبائل، فكانت تقول: إن محمداً قد استحل الشهر الحرام؛ فسفك فيه الدم، وأخذ المال، وأسر الرجال...

فلا تسَلْ عن مبلغ حزن عبد الله بن جحش وأصحابه على ما فرط منهم، ولا عن خجلتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوقعوه فيه من الحرج. ولما اشتد عليهم الكرب وثقل عليهم البلاء، جاءهم البشير ببشرهم بأن الله سبحانه قد رضي عن صنيعهم، وأنه أنزل على

وطفقوا يجوسون (يدورون ويبحثون) خلال الدروب ليرصدوا أخبار قريش. وفيما هم كذلك أبصروا عن بعد قافلة لقريش فيها أربعة رجال هم: عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان، وعثمان بن عبد الله، وأخوه المغيرة ومعهم تجارة لقريش فيها جلود وزبيب ونحوها مما كانت تتجر به قريش.

عند ذلك أخذ الصحابة يتشاورون فيما بينهم، وكان اليوم آخر يوم من الأشهر الحرم، فقالوا: إن قتلناهم فإنما نقتلهم في الشهر الحرام، وفي ذلك ما فيه إهدار حُرمة هذا الشهر والتعرض لسخط العرب جميعاً. (الأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، وكانت العرب تحرم فيها القتال). وإن أمهلتناهم حتى ينفذ هذا اليوم دخلوا في أرض الحرم (أي أصبح قتالهم محرماً علينا بسبب دخولهم في أرض الحرم المكي) وأصبحوا في مأمن منا. ومازالوا يتشاورون حتى أجمعوا رأيهم على الوثوب عليهم وقتلهم وأخذ ما في أيديهم من غنيمة. وفي لحظات قتلوا واحداً منهم وأسروا اثنين، وفرّ الرابع من أيديهم.

استاق عبد الله بن جحش وصحبه الأسيرين والعير متوجهين إلى المدينة، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه

الله بن جحش من كريم البلاء ما يليق بإيمانه. ثم جاءت (أحد) فكان لعبد الله بن جحش وصاحبه سعد بن أبي وقاص معها قصة لا تنسى، فلنترك الكلام لسعد ليروي لنا قصته وقصة صاحبه:

قال سعد بن أبي وقاص: لما كانت أحد لقيني عبد الله بن جحش وقال: ألا تدعو الله؟ فقلت: بلى. فخلونا في ناحية فدعوت فقلت: يارب إذا لقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده (غضبه وثورته) أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش على دعائي، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غداً قلت: فيم جُدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول: صدقت... قال سعد بن أبي وقاص: لقد كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار، وقد قُتل ومثّل به، وإن أنفه وأذنه لمعلقان على شجرة بخيط. استجاب الله دعوة عبد الله بن جحش، فأكرمه بالشهادة كما أكرم بها خاله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب. فواراهما الرسول الكريم معاً في قبر واحد، ودموعه الطاهرة تُروى ثراهما المضمخ بطيوب الشهادة. □

نبيه في ذلك قرآناً. فلا تسل عن مدى فرحتهم، وقد طفق الناس يقبلون عليهم معانقين مبشرين مهنئين وهم يتلون ما نزل في عملهم من قرآن مجيد.

فلقد نزل على النبي قول الله علت كلمته: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَفَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ۖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ ۖ إِنِ اسْتَظَلَّوْا ۚ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۖ فَيَمُتْ وَهُوَ كَاوٍ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

فلما نزلت الآيات الكريمات طابت نفس الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛ فأخذ العير وفدى الأسيرين، ورضي عن صنيع عبد الله بن جحش وأصحابه إذ كانت غزوتهم هذه حدثاً كبيراً في حياة المسلمين؛ فغنيمتها أول غنيمة أخذت في الإسلام، وقتيلها أول مشرك أراق المسلمون دمه، وأسيراها أول أسيرين وقعا في أيدي المسلمين، ورايتها أول راية عقدتها يد رسول الله صلوات الله عليه، وأميرها عبد الله بن جحش أول من دُعي بأمير المؤمنين.

ثم كانت (بدر) فأبلى فيها عبد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ...﴾

سادن الكعبة المشرفة يتحدث عن الكعبة ومفتاحها ومحتوياتها وأسرارها:

مفتاح الكعبة المشرفة يحتفظ به آل الشيباني منذ تسلموه من الرسول صلى الله عليه وسلم. تختزن الكعبة في داخلها وحولها أسرار لا يوجد مثلها في الأرض. فهي لا يزيد حجمها عن حجرة مكعبة، ما أن تبلغها حتى يختر القلب خاشعاً متضرعاً، يلفه السكون، فتكاد لا تسمع خفقاته. تتحول العين إلى نبع للدموع فأنت حينئذ في أحب مكان إلى الله ينزل إليه سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون حولها كل يوم وليلة. (الله أكبر ما أروع هذا الشعور وهنيئاً لمن كتب الله له بلوغ ذلك)

كبير سدة بيت الله الحرام الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله الشيباني هو الذي يوجد لديه مفتاح الكعبة، يقول ابنه نزار الشيباني: يقال عنا أيضاً (الحجبي) أي الذي يحجب البيت، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون للكعبة المشرفة سدة، أي من هم مسؤولون عنها، وأن يكون لها مفتاح وقد تسلمناه نحن آل الشيباني، وتأتي السدانة بعدة معانٍ في معجم اللغة العربية مثل الأمين والخادم والحاجب...

وسدانة الكعبة ترجع إلى تاريخ بنائها، وتعني القيام بجميع أمورها من فتحها وإغلاقها وتنظيفها وغسلها وكسوتها وإصلاح هذه الكسوة إذا تمزقت واستقبال زوارها وكل ما يتعلق بذلك، فقد كان يقوم بأمر السدانة إسماعيل عليه السلام ثم من بعده ذريته، إلى أن كان عهد قصي بن كلاب فأخذ قصي سدانة الكعبة من خزاعة التي كانت قد استولت على السدانة بالقوة مدة ليست بالطويلة، وهي قبيلة هاجرت من اليمن بعد انفجار سد مأرب واتجهت إلى مكة وأقامت فيها.

وقد ولد لقصي عبدالدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي، وبعد وفاة قصي انحصرت السدانة في عبد الدار وأبنائه حتى كان منهم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وابن عمه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة. وينتهي نسب سدة الكعبة المشرفة الحاليين إلى شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، وقد أسلم عام الفتح على أصح الروايات، وله صحبة ورواية عن النبي صلى الله عليه وسلم. وجميع آل الشيباني الموجودون في هذا العصر هم من أبناء الشيخ محمد بن زين العابدين رحمه الله تعالى، وينقسمون إلى أبناء الشيخ عبدالقادر بن علي وهم عائلة عبدالله، وحسن آل الشيباني، وأبناء عبدالرحمن بن عبدالله الشيباني، وهم محل احترام وإكرام كما دلت على ذلك الأخبار الواردة في



حقهم، ولا يزالون في موضع الإكرام والرعاية عند عموم حكام المسلمين، وبالأخص عند كل من تولّى خدمة الحرمين الشريفين، ولا يزال وجودهم من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أخبر أمته بها بقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم».

قصة انتقال مفتاح الكعبة

نزار الشيبني وهو من سدنة بيت الله الحرام يقول: آلت إلينا السدانة منذ أيام جدنا (قصي)، وانتقلت بين أبناء عبدالدار الذي كان له خمسة أولاد، وكان لا يخرج في رحلة الشتاء والصيف فيعاير به إخوانه بسبب ذلك، فسمعهم أبوه قصي، فقال: والله لأشرفنك عليهم، فأعطاه سقاية الكعبة والسدانة والرئاسة والندوة والرفادة ولواء الحرب، وعندما جاء إخوانه، قالوا له إنك أخذت كل الشرف، وما تركت لنا شيئاً، فقال: خذوها كلها إلا السدانة والرئاسة حيث كان هو رئيس قريش. ويقول إن الكعبة المشرفة تفتح مرتين في السنة لغسلها ويضيف: تعلق في داخل الكعبة الهدايا التي قدمت لها.

ثلاثة أسرار حول الكعبة

من أسرار الكعبة، كما يقول الكاتب الصحفي السعودي عمر المضواحي المهتم بالكتابة عن تاريخ الأماكن المقدسة، أنها صرة الأرض وموصولة بالبيت المعمور في السماء السابعة، وأول بيت وضع للناس بناه إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، وليس هناك في الكون بقعة أكثر مهابة وقداسية من هذه الحجرة المكعبة، حيث لم تعبد في تاريخها من دون الله قط، فقد كان العرب يعبدون الأصنام والأوثان حولها ولم يخصصوها أبداً بالعبادة، وقد حج إليها كل الأنبياء، ومجرد النظر إليها عبادة تعادل أجر عابد في غير مكة. ويضيف المضواحي متحدثاً عما سجله قلمه عن هذه البقعة التي توصف بأنها قدس الأقداس الإسلامية:

حول الكعبة ثلاثة أسرار لا يوجد مثيل لها في الأرض، الحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وهما ياقوتتان من يواقيت الجنة، وبئر زمزم، وهو نهر من أنهار الجنة ينبع عينه المتدفق من تحت أعتاب الحجر الأسود.

على يسار باب الكعبة المهيّب وبين الملتزم والحجر الأسود إلى الداخل منها يقع مكان «حطيم السيئات» حيث يتم فيه التضرع بالدعوات. وإلى اليمين من باب الكعبة على بعد أقل من مترين يرتفع صندوق من الرخام النادر تحفظ فيه أدوات خدمة البيت وحوائج غسيل الكعبة من دهون الطيب كالعود والورد والعنبر ولفائف من قماش قطني معد للغسيل. وفي منتصف الكعبة ترتفع ثلاثة أعمدة محاطة بأفخر أنواع الخشب المزخرف،



وهي المعروفة بأعمدة الصحابي عبدالله بن الزبير حين رأى في زمن حكمه مكة أن يسند سقف الكعبة بها خشية انهياره عندما قام بترميم بناء الكعبة. في الجهة الشمالية من الكعبة، على يمين الداخل، باب صغير يعرف بباب «التوبة» وهو آية في الصنعة والإتقان، ويمتاز بمقاساته العادية وهو بنسبة قياس واحد إلى ثمانية مقارنة بباب الكعبة الخارجي الوافر البهاء والضخامة. ويؤدي باب التوبة المصنوع من أندر قطع الأخشاب المكسوة بصفائح الذهب والفضة المشغولة إلى درج حلزوني من الزجاج السميك يصل إلى سطح الكعبة. وفي الجدار الغربي المواجه لباب الكعبة علقت تسعة ألواح أثرية من الرخام منقوش عليها أسماء الولاة والخلفاء تؤرخ لأعمال تجديد وترميم الكعبة، وكلها مكتوبة بعد القرن السادس للهجرة. وفي الحائط الشرقي وبين باب الكعبة المشرفة وباب التوبة وضعت وثيقة تؤرخ لترميم وتجديد الكعبة المشرفة، وكان آخر ترميم شامل للكعبة في زمن السلطان مراد الرابع من سلاطين آل عثمان سنة ١٠٤٠هـ.

جوانب الكعبة الأربعة محاطة بالرخام الأبيض، بارتفاع نحو مترين وبرخام ملون ومزركش بنقوش هندسية إسلامية. وما يعلوها مغطى بستارة خاصة من الحرير الأحمر الوردي مشغولة بالنسيج الأبيض على هيئة الشهادتين وبعض أسماء الله الحسنى، ويقوم بصناعتها يدوياً مصنع كسوة الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

وبين الأعمدة الثلاثة يمتد عمود معدني يكتسي بالفضة الخالصة له خطافات صغيرة معلق فيها هدايا الكعبة من أباريق وشمعدانات وأوان أثرية من الذهب والفضة تعود بتاريخها إلى ماضٍ بعيد أهداها ملوك وخلفاء وسلاطين.

سنن الصلاة في الكعبة

يسن قبل التشرف بدخول الكعبة الطواف سبعاً حولها، واستلام الحجر الأسود «يمين الله في الأرض» والركن اليماني اقتداء بالسنة النبوية. كما يسن أيضاً الصلاة فوق لوح من الرخام المنقوش بعلامة ظاهرة إشارة إلى المكان الذي ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فيه، وهو باتجاه الحائط الجنوبي بالقرب من الركن اليماني إلى الداخل من جدار الكعبة. والصلاة في الكعبة ثمان ركعات، وهي من سنن الدخول إلى الكعبة، ركعتان في اتجاه كل حائط من جدرانها الأربعة حيث لا قبله في جوف القبلة.

تغيير كسوة الكعبة

وأثناء فريضة الحج، وبعد أن يتوجه الحجاج إلى صعيد عرفة، يتوافد أهل مكة إلى المسجد الحرام للطواف والصلاة ومتابعة تولى سدنة البيت الحرام تغيير كسوة الكعبة



المشرفة القديمة واستبدالها بالثوب الجديد استعداداً لاستقبال الحجاج في صباح اليوم التالي الذي يوافق عيد الأضحى. وقبل هذا الوقت وفي منتصف شهر ذي القعدة تقريباً يتسلم كبير السدنة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الشبيبي في حفل سنوي الثوب الجديد من الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بقاعة المناسبات الرئيسية في مصنع كسوة الكعبة المشرفة بضاحية أم الجود بمكة. وبعد إحضار الثوب الجديد تبدأ عقب صلاة العصر مراسم تغيير الكسوة حيث يقوم المشاركون في عملية استبدال الكسوة عبر سلم كهربائي بتثبيت قطع الثوب الجديد على واجهات الكعبة الأربع على التوالي فوق الثوب القديم. وتثبت القطع في عرى معدنية خاصة (٤٧ عروة) مثبتة في سطح الكعبة، ليتم فك حبال الثوب القديم ليقع تحت الثوب الجديد نظراً لكراهية ترك واجهات الكعبة مكشوفة بلا ساتر.

ويتولى الفنيون في مصنع الكسوة عملية تشبيك قطع الثوب جانباً مع الآخر، إضافة إلى تثبيت قطع الحزام فوق الكسوة (١٦ قطعة جميع أطوالها نحو ٢٧ متراً، و٦ قطع تحت الحزام)، ومن ثم تثبت ٤ قطع صمدية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ توضع على الأركان، و١١ قطعة على شكل قناديل مكتوب عليها آيات قرآنية توضع بين أضلاع الكعبة الأربعة.

ستارة الكعبة أصعب مراحل تغيير الكسوة

وأخر قطعة يتم تركيبها هي ستارة باب الكعبة المشرفة، وهي أصعب مراحل عملية تغيير الكسوة، وبعد الانتهاء منها تتم عملية رفع ثوب الكعبة المبطن بقطع متينة من القماش الأبيض، وبارتفاع نحو مترين من شاذروان (القاعدة الرخامية للكعبة) والمعروفة بعملية (إحرام الكعبة).

ويرفع ثوب الكعبة لكي لا يقوم بعض الحجاج والمعتمرين بقطع الثوب بالأمواس والمقصات الحادة للحصول على قطع صغيرة طلباً للبركة والذكرى. ويستهلك الثوب الواحد للكعبة نحو ٦٧٠ كيلو جراماً من الحرير الطبيعي، و١٥٠ كيلو جراماً من سلك الذهب والفضة. ويبلغ مسطحه الإجمالي ٥٨٦ متراً مربعاً، ويتكون من ٤٧ لفة، طول الواحدة ١٤ متراً وبعرض ٩٥ سنتيمتراً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ □



هل حول «تنظيم الدولة» مسار الحرب في سوريا إلى قضية أمنية دولية؟

• كتبت سارة بيرك، المراسلة الصحافية لمجلة الإيكونوميست والعاملة في مشروع الشرق الأوسط للبحث والمعلومات مقالاً استقصائياً حول تأثير دور تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» على مسار الحرب في سوريا قالت فيه: «تحدث إلى أي سوري على الحدود السورية-التركية هذه الأيام وفي دقائق قليلة يتحول الحديث إلى تلك المنظمة المثيرة للذعر التي اجتاحت شمال سوريا وقامت بفرض «قوانين الشريعة»، واعتقلت بل وقطعت رؤوس سوريين رفضوا تطبيق نسختها الخاصة من الإسلام، وقامت بشن حرب على منافسيها في الفصائل الأخرى».

لقد غيرت هذه الجماعة (بحسب الكاتبة) منذ ظهورها في نيسان / أبريل الماضي مسار الحرب في سوريا، وأجبرت الفصائل السورية الرئيسية المسلحة للقتال على جهتين، وقامت بتعويق المساعدات الإغاثية إلى سوريا، ومنعت نقل الأخبار للخارج بعد اعتقالها عدد من الإعلاميين. وأضافت الكاتبة أن صعود هذا التنظيم حفز الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين على إعادة التفكير باستراتيجية الدعم المتقطع الذي تقدمه للمقاتلين «المعتدلين» في سوريا، وكذا إعادة التفكير في خطابها الداعي للإطاحة بالرئيس الأسد، مشيرة بذلك إلى تصريحات الديبلوماسي الأميركي رايان كروكر التي دعا فيها إدارة أوباما لإعادة النظر في دعوتها لتنحي بشار الأسد. ونقلت الكاتبة عن دبلوماسي غربي قوله ' يُنظر لسوريا الآن باعتبارها مشكلة أمنية، وليست حول التخلص من الأسد ومساعدة السوريين على تحقيق ما يريدون تحقيقه'.

• في السياق نفسه كتب السفير الأميركي المختص بمنطقة الشرق الأوسط فريدريك هوف مقالاً في «الأتلانتيك كاونسيل» ذكر فيه أن رؤية إدارة أوباما للحل الأمثل في سوريا تتمثل بانضمام القوات المسلحة الحكومية والمعارضة معاً للقضاء على «التنظيمات المتطرفة» في سورية، وأن السبيل لذلك هو قيام تحالف الإسلاميين (الجهة الإسلامية) بطرح أو بإعطاء التفويض لآخرين (الائتلاف الوطني) من أجل طرح جدول للحكم الانتقالي من شأنه أن يطمئن الد أعداء الإسلام السياسي في سورية، يكون من شأنه مغادرة عائلة الأسد الحكم وينهي «الحالة المتطرفة» لبعض المنظمات الإسلامية في البلاد!

وأكد هوف جهوزية الطائفة العلوية للانخراط في هكذا حل، لا سيما بعد التضحيات الكبيرة التي قدمتها وعن المعاناة التي لا تزال تطلب منها للحفاظ على العائلة الحاكمة وموظفيها في السلطة. وأن عدم وجود بديل جذاب وذو مصداقية هو كل ما يربط هذه الطائفة (وبعض الأقليات الأخرى) بالنظام. معتبراً أن على المعارضة تقديم اقتراح معقول في مؤتمر جنيف ٢ وذلك بعرض تشكيل حكومة انتقالية بديلة عن نظام الرئيس السوري بشار الأسد، تتضمن أسماء بارزة تشمل علويين خدموا بكفاءة وإخلاص في مراتب مدنية وعسكرية رفيعة مع النظام.

ويبدو أن سيطرة تنظيم الدولة على بعض المناطق في سوريا وإعلانه إقامة دولة إسلامية في العراق والشام، ومن ثم دخوله في حرب مستعرة مع خصومه من الجماعات المسلحة المقاتلة للنظام، قد جرّأ الائتلاف الوطني على خرق «ثوابته» مهزولاً بشكل مخز للسير في جنيف ٢ على علاته، بعد أن كان «يشعر بعجزه وإخفاقه ولا يرغب في المخاطرة بطرح قائمة حكومة انتقالية مشتركة مع النظام تشير غضب الناشطين داخل سورية والذين تحملوا العبء الأكبر من وحشية النظام» بحسب وصف السفير هوف! □

اضطهاد الإسلام وشيطنته منهج مشترك لشبكات دولية وامتداد لتاريخ استعماري

نشرت جريدة القدس العربي مقالاً لافتاً حول ما يعانيه المسلمون في العالم من «وطأة شيطنة فظيعة لإسلامهم تجعلهم موضوعاً لاضطهاد ممنهج تتشارك فيه شبكات السيطرة الاقتصادية والسياسية والإعلامية في العالم على اختلاف أشكالها وأعراقها وأديانها، بما فيها شبكات محسوبة على دول إسلامية». نلخص فيما يلي أبرز النقاط الواردة فيه:

- يمكن للباحث التاريخي إعادة جذور ظاهرة العداء للإسلام لقرون عديدة سابقة فيها نقاط فارقة عديدة منها فتح الأندلس، ووصول جيوش المسلمين لحدود فرنسا، والحروب الصليبية وآليات اشتغالها والأساطير التي تشكلت بنتيجتها، وتمدد الدولة العثمانية وصولاً إلى تهديد فيينا في قلب أوروبا.
- مارست أوروبا معادلة السيادة الثقافية والأخلاقية على العالم ما أضفى إحساساً عارماً بالتفوق لدى الغرب وشعوبه، قابله إحساس عارم معاكس بالهزيمة الحضارية لدى غالبية الشعوب الإسلامية، تجلّى في سؤال حارق لديهم عنوانه: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟
- استلزمت ديمومة السيطرة الغربية على الشعوب الإسلامية آلة تنظير كبيرة لتبرير وإدامة التفوق بدعوى عنصرية عرقية أو ثقافية من قبيل تفوق الحضارة الغربية وتخلف الدين الإسلامي، وتأسس بذلك 'الاستشراق' الذي خص المسلمين بنصيب كبير من التنميط والتحقير، وهي نتيجة طبيعية لقرون طويلة من الحروب والمواجهات والتنافس على الجغرافيا والتاريخ والسياسة.
- كان تأسيس (إسرائيل) عام ١٩٤٨م هو ذروة تحويل الاستشراق ونظرياته الأسطورية حول جغرافيا وتاريخ المنطقة إلى فعل كاسر وهمجي بحق شعوبها، وهي فكرة بدأت أثناء حملة نابوليون على فلسطين، ما لبث دهاقنة الاستشراق الغربيون أن تلقفوها وساهموا في تحقيقها قبل أن يتم تلبيسها على أيدي يهود غربيين منخرطين في المشروع الاستعماري الغربي.
- تراوحت ردود الفعل على الحرب الثقافية لإخضاع المسلمين سياسياً واقتصادياً بين اتجاه استبطن أفكار الاستشراق الغربي داعياً إلى استبدال هوية الشعوب الإسلامية بأخرى مفصلة وجاهزة في الغرب ولا حاجة سوى لتطبيقها بحذافيرها كي تمشي البلدان الإسلامية على «صراط» الحداثة لتندفع باتجاه الازدهار والتقدم والتنمية. فيما رفض البعض الآخر الغرب وحضارته، أو تقبل جزءاً من أحداثه التقنية لكنه رفض أسسها الفلسفية وتطبيقاتها السياسية، وكان ذلك جذر أغلب حركات الإسلام السياسي.
- تسلمت النخب العلمانية المضبوغة بالغرب زمام السلطة في عدد من البلاد العربية لأكثر من ٥٠ عاماً، هوت خلالها البلدان المذكورة إلى دكتاتوريات غاشمة تحالف فيها الاستبداد بالفساد وكشفت عن فشل حضاري وثقافي واقتصادي وسياسي، كما تعرضت لهزائم عسكرية مخزية وانحدرت في أغلب الأحيان إلى مدارك من الوحشية ضد شعوبها لا يصدقها العقل.
- عزت الأنظمة القومية واليسارية العربية فشلها الذريع لوجود (إسرائيل) إلا أن الحقيقة هي أن (إسرائيل) كانت عاملاً مساعداً في إيصال هؤلاء عبر الجيوش (تحت الرايات القومية والبعث واليسار) إلى السلطة، فالتحدي (الإسرائيلي) خلق قابلية شعبية لعسكرة البلدان العربية لمواجهة (إسرائيل).
- حركات الإسلام السياسي غير مسؤولة عن الخراب الهائل الذي طال البلدان العربية بل هي تحصد عواقب الفشل الجذري العميق لأداء الحركات العلمانية، لكن ذلك لا يعطيها صكاً مفتوحاً للحكم، ولا يعفيها من مجابهة الأسئلة العميقة التي طرحتها الحركات العلمانية وفشلت في الإجابة عليها. سيما أن الشعوب العربية تنتظر حلولاً واقعية وحقيقية لا تجيب عليها الشعارات والعناوين العامة. □